

327.73
P45aA

علم نفسك

٧

أعمدة الاقتصاد الأمريكي

للعالم الاقتصادي الأمريكي
فيكتور بيرلو

مع مقدمة للطالب الاجتماعي الكبير
الدكتور جورج منا

دار العلم للملايين
بيروت

١٩٥٢

Cad. 26 Oct 53

مقدمة

بقلم الكاتب الاجتماعي الكبير

الدكتور جورج منا

الحقائق التي يكشف عنها هذا الكتاب يجعلها الكثيرون من الناس . هذا ما يجعله جديراً بالمطالعة لكي لا تبقى هذه الحقائق مجهولة .

ومما يزيد في قيمة الكتاب ، مجيئه في وقته . ومما يزيد في قيمته ايضاً ، ان مؤلفه اميركي ، والدار الناشرة (للأصل) اميركية ، والمستندات الواردة فيه مأخوذة من صحف اميركية وتقارير وضعها رجال السياسة وارباب العمل في اميركا نفسها . ومما يزيد في قيمة الطبعة العربية اكثر واكثر ، صدورها في الوقت الذي يشن فيه الاستعمار الاميركي معركته على العالم العربي وعلى زميليه ، الاستعمار البريطاني والفرنسي معاً .

وقد احسن المعرب اختيار الظرف المناسب لاصدار هذه الطبعة . فالظرف الذي تمر فيه الاقطار العربية ، والمساعي التي تبذلها الولايات المتحدة ، لتقوية نفوذها في هذه الاقطار ، والمشاريع التي ادخلتها ، والتي تنوي ادخالها عن طريق الفرض المبطن بغيره

انسانية تارة ، واجتماعية او دفاعية تارة اخرى ، اخفاء للغاية الاستثنائية الاستعمارية ، هدفها الاول والاخير ، يضاف الى ذلك الميوعة المتجلية في سياسة الحكومات العربية ، كل هذه الامور من شأنها ان تجعل من كتاب « اعمدة الاستعمار الاميركي » كتاب الساعة ، وتكسب معرّبه فضلاً تعترف له به الشعوب العربية والشعوب المستعمرة والمستثمرة جميعاً .

لقد قرأت هذا الكتاب من الفه الى يائه . واني اتمنى ان يقرأه كل قارئ عربي ، ويتمعن في محتوياته ، ثم يصدر حكمه على ضوء هذه المحتويات ، في الدعاوات التي تروجها المحافل السياسية الاميركية ، والدعاوات التي تسخرها هذه المحافل . ونحن على اكثر من اليقين ، أنه لن يلبث عندئذ حتى يضع هذه الدعاوات على المحك ، ويعرف غثها من سمينا ، اذا كان فيها من سمين .

فمنذ وضعت الحرب الاخيرة اوزارها ، وخرجت منها اميركا باقلّ قسط من الحسارة ، بالنسبة الى خسارة احلافها ، وجدت نفسها في مركزٍ يمكنها من فرض سيطرتها على من قبل منهم بالرضوخ لزعامتها ، ورأت المجال مفتوحاً امامها لتوسيع مدى استعمارها الاقتصادي على حساب هؤلاء الاحلاف الاتباع . زد على ذلك انقسام العالم بعد الحرب الى شطرين متباعدين ، او جبهتين مختلفتين في نظرتها الى الحياة من نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظامية ، الواحدة اشتراكية يتزعمها الاتحاد السوفياتي والثانية رأسمالية تتزعمها الولايات المتحدة الاميركية . واذا رأت هذه الاخيرة ان الجبهة التي تتولى هي زعامتها آخذة بالتقلص

شيئاً فشيئاً ، وان اجزاء واسعة من العالم افلتت من قبضتها الاقتصادية ، لا سيما بعد نجاح الثورة الشعبية الصينية ، بدأت تفكر فيما قد يجزّيه عليها هذا الوعي الجديد في الشعوب ، وفيما عساها ان تعمل لكي تحافظ على سيادتها الاقتصادية ، وتضمن لرساميلها حرية التحكم بالاسواق العالمية ، كما تضمن ايضاً استقرار الحالة المعيشية في بلادها . من هنا نشأت عندها الفكرة الاستعمارية التي يحمل لواءها ملوك المال والصناعة والتجارة ، والتي تتمركز قيادتها في « الـ وول ستريت » .

ولكن الاستعمار لم يعد مهزوماً ولا مقبولاً عند الشعوب . حتى الحكومات التي تتحكم في شعوبها بقوة الاستمرار ، لم يعد بمقدورها خلق الروح التحررية الشعبية الوثابة بل لم يعد بمقدورها مواصلة تقديم العون للاستعمار . فالحكمة اذن تقضي بخلق صيغة جديدة تخدم الشعوب المطموع بها ، وما اكثر هذه الصيغ في جعبة المستعمرين . هذا ما يبينه بكثير من الجلاء هذا الكتاب .

اما الصيغة الجديدة التي خلقها الاستعمار الاميركي والتي اشرف على خلقها « الـ وول ستريت » فهي المساعدة للبلدان المتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، والوعود التي تضمنتها النقطة الرابعة من خطاب الرئيس ترومان ، والدفاع عن العالم الحر ، ومقاومة المباديء الشيوعية ، وما كان على شاكلة ذلك من ضروب الدجل السياسي ، التي اعتمدتها السياسة الاميركية الجديدة لاطهار اميركا بمظهر الانساني المنقذ ، الذي يعمل لخير البشرية والسلام العالمي .

على انه فات السياسة الاميركية ان الوعي الشعبي بلغ حدّاً لم

تعد تنطلي فيه هذه الجبل على الشعوب . فالشعوب الاسيوية آخذة بالتحرّر من النير الاستعماري مقتديةً بالشعب الصيني . والشعوب الافريقية ، الشمالية منها على الاخص ، تتحفز للوثوب . والشعوب العربية التي اصبحت اليوم قبلة الاستعمار الاميركي ، بفضل كنوزها النفطية الغنيّة ، ثائرة على الاستعمار وعلى عميلته وحليفته الرجعية الوطنية . كل هذه الامور بدأت تقلق اميركا وملوك رأس المال الاميركي . فرأس المال الاميركي هو الموجه الاول للسياسة الاميركية ، بل قد لا يكون للسياسة الاميركية موجه سواه . وان شئت برهاناً على ذلك فانك تجده فيما ستقرأه في هذا الكتاب من تصريحات اقطاب السياسة والاعمال الاميركيين . اسمع ما يقوله المستر اتشيسون ناظر خارجية اميركا في خطاب القاه في آذار عام ١٩٥٠ :

« يجب ان يتق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير تعويض عادل (كذا) وان في ميسورهم ان يخرجوا ارباحهم المشروعة ورأسمالهم من البلاد (يعني البلاد التي يوظفون فيها رساميلهم) ، وأن تكون لهم حرية معقولة في ادارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي . » ثم يقول ايضاً :

« يجب علينا ايجاد المناخ الملائم لتوظيف الرساميل . »

والمناخ الملائم في عرف السياسة الاستعمارية ، كما دلّنا تاريخ الاستعمار ، معناه التدخل في السياسات الوطنية وقمع الحركات الشعبية تحت ستار المحافظة على الامن العام . وليس علينا ان نبعد كثيراً لنرى امثلة عن ايجاد هذا المناخ الملائم عندنا . فلكي يكون

المنافس ملائماً لتوظيف الرساميل الاجنبية ، يسعى اصحابها اولاً
لاشراك اصحاب الرساميل الوطنية بقسط محدود من الارباح ، ثم
يسعون بنفوذهم ونفوذ شركائهم الوطنيين الى سن قوانين تساعد
على نشوء المنافس الملائم هذا ، ثم يتحالفون مع القوى الرجعية في
البلدان التي تطفئ فيها رجعية الاقطاعية والدين ، ليشلّوا الحركات
التقدمية . وعندما تخونهم هذه المداورات يخلعون اقنعتهم ، وتثور
غيرتهم على الاستقرار والامن العام والسلام العالمي والمثل العليا ،
ويلجأون الى التهديد المقنع ثم التهديد المكشوف . يفعلون كل
ذلك لايجاد المنافس الملائم الذي تكلم عنه السيد اتشيسون ، والذي
نرى مسطرة عنه في بلادنا .

ثم اسمعه يقول في خطاب له عن النقطة الرابعة ، بعد مقدمة
طويلة غريضة من الدعاية المألوفة : « احسب ان هناك فكرة شائعة
تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب
المتخلفة اقتصادياً . فأنا أعلن هنا ان ذلك غير صحيح » . فكأن
السيد اتشيسون اراد بذلك ان يطمئن اصحاب الرساميل الكبيرة
والصناعات الضخمة ، الى ان مشروع النقطة الرابعة لن يتركب
جريمة ايجاد صناعات في البلدان التي يشملها ، بل يكتفي بارسال
خبراء يساعدون على خلق مشاريع زراعية ومائية وفتح طرق
وما اشبه ، تقسح للصناعة الاميركية مجال التصدير ويكون فيها
الخبراء سمسرة لرأس المال الاميركي . هذا ما لمسناه في الاتفاقات التي
عقدناها ويعقدها ممثلو هذا المشروع مع حكومات الدول التي
وافقت عليه ومنها حكومتنا .

لقد كانت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، عبارة عن تجارة
وراجة لا ميروكا ، استطاعت بواسطتهما تقوية صناعاتها وتضخيم رساميلها
فاكتسبت بذلك الزعامة المالية والصناعية . وهي الآن لا يهمها
شيء اكثر من ان تحافظ على هذه الزعامة باية وسيلة كانت ، حتى
لو اقتضاها الامر زج العالم في حرب ثالثة . المهم ان تبقى لها هذه
الزعامة ، التي تحدث عنها بوضوح Leo. D. Welch امين صندوق
شركة ستاندرد للنفط في خطاب القاہ سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

« تلك التبعة هي الزعامة الایجابیة القویة في شؤون العالم ،
سیاسیة واجتماعیة واقتصادیة . ان من واجبنا ان نحققها باوسع
ما تحتمله الكلمة من معنى . ان علينا بوصفنا اكثر دول الارض
انتاجاً واقواها رسامیل واغناها بالصناعة الآلیة ان نحزم امرنا
ونتحمل المسؤولية التي یلقیها علی عاتقنا كوننا نملك غالبیة الأسهم في
تلك الشركة التي یطلقون علیها اسم العالم . وليس ینبغي ان یكون
ذلك الى اجل مسمى . انه واجب سرمدی لا یجوز التفريط به .. »
(هتار یتكلم ...) ثم یخلص الى القول :

« والواقع ان سیاستنا الخارجیة سوف تكون في المستقبل
اکثر اهتماماً بسلامة رسامیلنا الموظفة في الخارج واستقرارها بما
كانت في اياما وقت مضى . وليس من ریب في ان احترام رسامیلنا
لا یقل اہمیة (كان اقرب الى الصدق ان یقول : اکثر اہمیة) عن
احترام مبادئنا السیاسیة . »

الیس في هذا القول ما یعني ان السیاسة الخارجیة الامیریکیة
ہي طوع الرسامیل الامیریکیة وتکيف بارادة ملوک

الوول ستريت وطبقاً لمصلحتهم ، ولو ادى ذلك الى اللجوء للقوة والحرب للمحافظة على زعامة اميركا التي هي بالفعل زعامة الوول ستريت ؟ هذا ما يجيب عليه الماجور جنرال سمدي بتلر في مذكراته عن حياته العسكرية اذ يقول :

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي كنت في معظمها اشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى . »

لست انوي ان اجيء في هذه المقدمة على كل الشواهد والمستندات الدالة على ان السياسة الاميركية الخارجية اصبحت سياسة استعمارية مائة بالمائة . اني اترك للقارئ ان يتبين هذا لنفسه بعد قراءة هذا الكتاب . على ان ما اقصده هو ان يدرك بنو قومي دجل الدعايات التي يروجونها عن المساعدات الاقتصادية والنقطة الرابعة والثقافة الحرة والمبادئ الانسانية ، والديموقراطية الصحيحة التي تدعي اميركا زعامتها والتي قالت فيها الكاتبة ماري ليز ، احدى زعيمات الحزب التقدمي الاميركي :

« لم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت . والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالحرق البالية . »

مهما اجتهدت الدعاية الاميركية لتصوير اميركا بصورة الدولة المسالمة ، الراغبة في مساعدات الشعوب ، والعاملة في سبيل السلام العام ، ومهما انكرت هذه الدعاية كون اميركا دولة استعمارية ، ومهما

نثرت اميركا من وعود وعهود ، ومهما انققت على دعايتها من
 اموال ، فالامر الذي لا تستطيع اخفائه عن الناس ، الا على من
 كان منهم فاقد البصر والبصيرة ، هو طغيان رأس المال الاميركي
 على السياسة الاميركية ولا سيما على السياسة الخارجية فيها ، كما انها
 لا تستطيع تبرير موقفها من الحركات التحررية في البلدان التي
 تطمع باستعمارها واستثمارها فعليا ، ان لم يكن اسمياً ايضاً . ففي
 كل بلد من هذه البلدان تعتمد السياسة الاميركية الى مساعدة
 القوى الرجعية فيها ، فتهرع الى اسداء المعونة لها لوقف كل حركة شعبية
 تقدمية ، او وطنية تحررية . فبينما هي تصطنع الغيرة على حرية
 الشعوب وحقوقها في تقرير مصيرها ، وبينما نسمع دعاواتها تشكو من
 الحكم الرجعيين في البلدان الاسيوية والافريقية والعربية ، وتغنى
 بحرية الشعوب ، اذا بنا نراها تحضن تشان كاي تشك في الصين ،
 وسيفمان ري في كوريا ، وتقاتل الديكتاتوريين العسكريين في كل
 بلد منكوب بهم ، وتناصر مستعمرى الهند الصينية وتونس والجزائر
 ومراكش ومصر ، وتحتل اليونان ، وتؤيد الحكومات المستبدة في
 تدابيرها القمعية لكل حركة نضالية شعبية ، متدعة بالمبادئ ،
 وهي ابعد ما يكون عن الاهتمام بالمبادئ (راجع ما ورد في هذا
 الكتاب من خطاب Leo D. Welch) يدفعها الى كل ذلك غيرتها
 الملحة في ان تضمن سلامة رساميلها ، وتحافظ على زعامتها للعالم
 الذي ابتكرت له اسم العالم الحر ، علّتها تتمكن بذلك ان تصبح
 زعيمة العالم كله . فلهوس « الزعامي » آخذ منها كل مأخذ .
 واشد ما يبلى به العالم ان يبلغ هذا الهوس حداً يدفع اصحابه الى

الاقدام على حرب عالمية ، طمعاً بالابقاء على هذه الزعامة وتخليد
سرمديتها ، كما صرح علناً احد ملوك وول ستريت الآنف الذكرو .
اتنا اذ نقدم هذا الكتاب النفيس للعالم العربي ، نتمنى ان
يكون حافزاً لشعوب هذا العالم العزيز لكي تعي أمرها ، ولا
تقع في الاحبولة التي ينصبها لها الاستعمار ، فتضمن لنفسها السلامة ،
وتقف متحدة بوجه من يطمعون بها ، وتسمع الى شهادة شاهد من
اهلهم ، ولا تقبل بان تكون كبش المحرقة في حرب يروج لها
دعاة الحرب وتجارها .

الدكتور جورج منا

١. نشوء الاستعمار الاميركي

ما هو الاستعمار ؟ وما هو الاستعمار الاميركي ، على اخصوص ؟
أهو سياسة العصا الغليظة التي نادى بها ثيودور روزفلت * ؟ أهو
الاستيلاء على المستعمرات ؟ أهو حروب العدوان والتوسع
الاقليمي ؟ أهو مشروع مارشال ؟ أهو نحو الروح العسكرية
واضطهاد الزوج ؟

هذه كلها من عناصر الاستعمار . إنها تؤلف السياسات والاعمال
الاستعمارية . ولكن الاستعمار شيء أكثر من ذلك . إنه مرحلة
تاريخية من مراحل الرأسمالية . والواقع ان جميع الاعمال
والسياسات تنبع من مرحلة التطور التي بلغتها الرأسمالية اليوم ،
وهي أعلى مراحلها وآخرها .

لقد لخص لينين في كتاب له عوامل الاستعمار الاقتصادية
الرئيسية على الوجه التالي :

(١) « تركيز الانتاج ورأس المال الى درجة عالية جداً تؤدي
آخر الأمر الى نشوء احتكارات تلعب دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية .

* يقصد سياسة الشدة وقلة المرونة التي اتبعها هذا الرئيس الاميركي في
علاقاته مع دول اميركة اللاتينية وغيرها . [المغرب]

(٢) اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي ونشوء
الاوليجاركية المالية * على اساس من هذا الاندغام .

(٣) تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية .

(٤) تشكيل الاحتكارات الرأسمالية الدولية التي تتوزع
خيرات العالم في ما بينها .

(٥) تقسيم العالم كاه تقسيمًا إقليميًا في ما بين الدول الرأسمالية
الكبرى * * *

فالاستعمار هو تلك المرحلة من الرأسمالية التي تسود فيها هذه
العوامل والتي يرجع تاريخها الى اوائل هذا القرن .

والكن من هم الاستعماريون الاميركيون ؟ ليس من ريب في
ان الكتلة الغامرة من الاميركيين لا يد لها في الاحتكارات
الصناعية والمالية على اختلافها . فالمواطن العادي لا يملك رأس مال
يستطيع ان يصدّره أو يفيد منه بطريقة أخرى . إنه لا يشارك في
المحالفات الاقتصادية الدولية وليس له نصيب في الفتوح الخارجية .
إن الشعب الاميركي ليس استعماريًا . الاستعماريون هم تلك

الحفنة القليلة من الرجال الذين يملكون اميركة ويسيطرون عليها .
إنهم أمراء المال من مثل مورغان Morgan ، وروكفلر Rockefeller ،
وميلون Mellon ، والبطانة التي تحيط بهم ، وبعض رجال السياسة
وقادة الجيش ومحوري الصحف والمسؤولين عن شركات السينما

* الاوليجاركية نظام من الحكم تستبد بالسلطة العليا فيه فئة قليلة جداً
من المواطنين . [للعرب]

* * * Lenin, *Imperialism, The Highest Stage of Capitalism*,
p.89, N. Y. 1939.

الذين يأترون بأمرهم. ومع ذلك فليس الاستعماريون الاميركيون غير قلة قليلة جداً. إنهم لا يختلفون عن شعب الولايات المتحدة فحسب بل هم الدّ أعداء هذا الشعب أيضاً. ومن عجب انهم يخلعون على سياستهم الاستعمارية اسم «السياسة الاميركية» وكأنها تعبير عن ارادة الشعب كله، وانهم يلبسون العدوان في الخارج لباس الدفاع عن هذه البلاد والحفاظ على حريات شعبها المسلم!..

هزور التوسع الاستعماري

والحق ان الاستعمار الاميركي لم ينشأ فجأة خلال نصف القرن الذي مضى. إنه ثمرة الاحداث التاريخية السابقة في الولايات المتحدة وفي العالم. فبعد انتهاء حرب الاستقلال أخذت الرأسمالية الاميركية في التوسع الاقليمي على حساب الهنود، والمكسيكيين، ومختلف الدول الاوروبية الاستعمارية. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة دولة ضخمة قارية الانساع، بعد ان كانت من قبل رقعة من الارض صغيرة تمتد على الساحل الشرقي.

واقترنت الحرب الاهلية عهداً جديداً. ففي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر نمت الصناعة في الولايات المتحدة بأسرع مما نمت في ايما بلد آخر. وفي حين توسع سادة الدول الاوروبية من طريق الاستعمار في ما وراء البحار والمحيطات، عني رأسماليو الولايات المتحدة بالتوسع داخل حدود بلادهم السياسية. فبدلاً من ان يلتبس ما الكو المصارف والسكك الحديدية والفولاذ والنفط موارد لهم في ما وراء البحار انتزعوا الاراضي من الهنود،

وحرّموا المزارعين حقهم في فك ممتلكاتهم المزهونة ، وامتنصوا
ارباحاً اسطورية من طريق تجارة الرقيق في الولايات الجنوبية .
ليس هذا فحسب ، بل لقد استوردوا العمال من اوروبا بالملايين ،
واستخدموا مئات الالوف من المكسيكيين والصينيين
والفلبينيين في انشاء السكك الحديدية والمزارع الرأسمالية في
البقاع الجنوبية الغربية بأجور بخسة واحوال من العمل غير ملائمة .
وفوق هذا كله شيّد الرأسماليون الاميركيون ثرواتهم الأولى على
آلام الملايين من الزنوج الذين اختطفوا من ارجاء افريقية وآلام
ابنائهم وبناتهم في الاجيال التي تلت .

وبينما كانت الرأسمالية الاميركية تتوسع في الداخل قادت
عملية ' المنافسة التي ينطوي عليها النظام نفسه الى نزعة جديدة هي
جمع البيوت التجارية المتناحرة وتكثيلها في منظمة واحدة تحتكر
المادة وتحكم في تعيين اسعارها .

وحوالى سنة ١٨٩٠ انتهى نمو الاحتكارات المختلفة وتكثلتها
الى ان ينزلا اذى كبيراً بمصالح العمال والمزارعين وصغار التجار .
حتى اذا هاج الرأي العام هياجاً كبيراً اضطرت الحكومة الى
إصدار قانون يضع حداً لجمع الشركات الاستثمارية الكبرى في ما
يُعرف بالكتل المتحدة او التروستات Trusts ؛ ولكن هذا
التشريع (وقد اطلق عليه اسم قانون شيرمن المضاد للتروست *)

* اعلن هذا القانون عدم شرعية « أي عقد أو اتحاد يتخذ شكل
تروست أو أي شكل آخر ، أو أية مؤامرة من شأنها التضييق على الانجاء
بين الولايات المختلفة أو بين الولايات المتحدة والدول الأجنبية . » [المغرب]

الشممان أنتي-ترست أكت (Sherman Anti-Trust Act) لم يكن فعالاً بالكلية لأن الحكومة الرأسمالية في الولايات المتحدة كانت ولا تزال تمثل أقوى الجماعات الرأسمالية في البلاد ، أي الشركات الاحتكارية نفسها التي يُفرضُ فيها مكافحتها ...

أما اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي فقد استُهلَّ بالدور الرئيسي الذي لعبه بيت مورغان المالي في تشكيل التروستات في حقليّ الفولاذ والمعدات الكهربائية ، والدور الذي لعبه بنك ميلون في تشكيل تروست الالومنيوم ، وإقبال آل رو كفلر على شراء أسهم الـ « ناشيونال سيتي بنك » وسيطرتهم على الـ « تشايس ناشيونال بنك » . ولم تدخل سنة ١٩٣٠ حتى كانت هنالك ثماني مجموعات مالية ضخمة تسيطر على ٦٢ بالمائة من صناعات الولايات المتحدة الثقيلة ، ووسائل مواصلاتها ومصارفها ، كما جاء في تقرير رسمي أصدرته الحكومة الاميركية نفسها * .

وهذا الوضع قاده الى تجمّع الراساميل تجمّعاً فاحشاً في أيدي قليلة جداً . وإذا كان قانون الرأسمالية هو الكسب المستمر فقد تعيّن على الشركات الاحتكارية أن تبحث عن حقوق جديدة توظف فيها راساميلها الفائضة . ومن هنا التمس اصحاب الراساميل المالية الاميركية مصادراً للربح خارج حدود الولايات المتحدة القارية . وهكذا اخذت الولايات المتحدة تصدر رأس المال الى البلدان الاجنبية وهي التي كانت من قبلُ بلداً يستورد رؤوس

* U. S. National Resources Committee, *The Structure of the American Economy*, Part I, p. 317, Washington, 1939.

الأموال من الخارج .

ولم تكد الشركات الاميركية تغزو البلدان الاجنبية حتى عملت على اقتسام الممتلكات والأسواق فيما بينها وبين زميلاتها الأوروبية . فمنذ اوائل القرن الحالى اقتسمت كتلة روكفلر المتحدة منابع النفط المعروفة آنذاك واسواقه العالمية فيما بينها وبين شركات روتشيلد ونوبل . كما اقتسمت شركة « جنرال ايلكتريك » التي يسيطر عليها بيت مورغان المالى اسواق المعدات الكهربائية في العالم مع شركة « جنرال ايلكتريك » الالمانية المعروفة بال A.E.G. .

ويقضي منطق الاستعمار بأن تستتبع السيطرة الاقتصادية سيطرة سياسية وعسكرية . فلا عجب اذا ما وجدنا الدول الاستعمارية الكبرى تسارع ، خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، إلى بسط سلطانها السياسي والعسكري على مناطق مختلفة من العالم لكي تمكن شركاتها الاحتكارية من استثمار تلك المناطق على هواها . ولم يكد ذلك القرن يؤذن بالانصرام حتى كانت الدول الأوروبية قد استعمرت بصورة رسمية كامل افريقية تقريباً والشرق الاقصى باستثناء الصين ، في حين امت الصين نفسها ، وسائر آسية ، واميركة اللانينية مناطق نفوذ للرسميل الأوروبية . اما الولايات المتحدة فلم تهيمن ، قبل سنة ١٨٩٨ ، إلا على آلاسكا ، وهاواي ، وجزء من جزائر ساموا .

وهكذا نجد ان عوامل الاستعمار الرئيسية الخمسة التي نص عليها لينين قد نشأت في الولايات المتحدة وكان نشوؤها على نطاق

عالميّ . وتلك هي جذور سياسات الحرب والكسب في الخارج ،
والرجعية والتعصب القومي في الداخل ، هذه السياسات التي تُعتبر
من أبرز خصائص الاستعمار وميزاته . وقد مهّد هذا كله السبيل
امام كايزر ، وسيسل رودس ، وثيودور روزفلت وغيرهم من
بناة الامبراطورية الاميركية الذين كانوا يمثلون الجبهة السياسية
للساميل المالية .

والواقع أن عضو مجلس الشيوخ ألبرت بفريدج ، أحد ذعاة
الاستعمار الاميركي الأولين ، وصف سياسة التوسع هذه حين قال
في خطاب القاه سنة ١٨٩٨ :

« إن المصانع الاميركية تنتج اليوم اكثر مما يستطيع الشعب
الاميركي ان يستهلك ، والتربة الاميركية تنتج كذلك اكثر مما
نستطيع ان نستهلك . ومن هنا نرى ان القدر قد رسم لنا سياستنا :
إن تجارة العالم يجب أن تكون بيدنا ؛ وليس من شك في اننا
سنستولي عليها كما علّمنا أمّنا ، انكثرة ، أن نفعل . ولسوف
نشيه قواعد تجارية في أرجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الاميركية .
وسنملأ ماء المحيط بأسطولنا التجاري . وستنهض حول مراكز
تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها ولكنها ترفع علمنا
وتتاجر معنا ... * »

وليس من شك في أنّ العمال في المصانع والمزارع الاميركية
لم يُنتجوا ، في يوم من الايام ، ما يستحقه الشعب . ولا يمكنهم
انتجوا خلال الخمسين السنة الماضية اكثر بكثير مما أجازت الرأسمالية

* Quincy Howe , *A World History of Our Own Times*,
pp. 128-29, N.Y., 1949.

للشعب أن يستهلكه . والمحاولة الاستعمارية لحلّ هذا التناقض إنما تتمثل في ما اقترحه بيفريدج الناطق باسم الرأسمالية .

طرائق التوسع الاستعماري

لقد 'نثي' الشعب الاميركي على الاسطورة القائلة بان جيوش الولايات المتحدة غير عدوانية nonaggressive ، وان المشاريع التجارية الاميركية تغزو العالم من طريق المنافسة السلمية وخدمة المستهلكين . وانما اهدف في هذا الكتاب الى تفويض هذه الاسطورة واصفاً طرائق العمل التي تصطنعها بيوتات وول ستريت * Wall Street وصفاً تفصيلاً دقيقاً .

والحق ان استخدام القوة العسكرية استخداماً عدوانياً كان ولا يزال هو الوسيلة الرئيسية التي تعتمدھا الولايات المتحدة في توسعها الاستعماري . ففي سنة ١٨٩٨ شنت الولايات المتحدة حرباً استعمارية لإعادة تقسيم العالم ؛ وكانت هذه الحرب ثلوية خاضتها ضد عدوي مستضعف ، هو اسبانية . ومع ذلك فقد كانت غنيمتها

* حي المال في مدينة نيويورك وهو يسيطر كما سنرى على الحياة الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة سيطرة شبه كاملة . يدرك على ذلك ما قاله ماري ليز احدي زعماء الحزب الشعبي Populist Party المطالب بحقوق المزارعين : « ان وول ستريت يملك هذه البلاد . ولم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ومصالحه الشعب ، بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ومصالحه وول ستريت ... والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالجلل العالية ، والمفضلة بالخرق البالية . »

[للعرب]

ضخمة هائلة : - استولت على الفلبين وبورتوريكو ؛ وسيطرت بصورة غير رسمية على كوبا ؛ وكسبت منطقة نفوذ واسعة تشمل القسم الشمالي من اميركة الجنوبية وكامل اميركة الوسطى ؛ وبسطة سلطانها العسكري على بحر الكاريبيان وعلى كثير من القواعد المهمة في المحيط الهاديء . ليس هذا فحسب ، بل لقد امتد نفوذ الولايات المتحدة المتعاضم ، منذ ذلك الحين ، تعاضماً كبيراً الى بلدان اميركة اللاتينية حيث كانت الرساميل البريطانية والفرنسية هي صاحبة اليد العليا .

ولم تكن الحرب ضد اسبانية غير بداية متواضعة . ذلك بان شعوب تلك البلاد التي بسطت اميركة سلطانها عليها لم تكن راغبة في ان تستبدل بمستثمريها الانكليز او الاسبان مستثمرين جديداً من وول ستريت . فما كان من امراء الاستعمار الاميركي إلا ان خاضوا غمرات الحروب العدوانية او التدخل المسلح ضد شعوب الفلبين ، والمكسيك ، وكوبا ، ونيكاراغوا ، وباناما ، وهايتي ، وكولومبيا ، والجمهورية الدومينيكية ، وكوستاريكا ، وهوندوراس ، والصين .

ولما يتجلى الدور الذي لعبته القوة العسكرية في تدعيم سيطرة وول ستريت الاقتصادية على البلدان نصف المستعمرة في هذه الكلمات التي لحص فيها الميجور جنرال سمدي بتلر حياته العسكرية : « لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي ، كنت في معظمها أشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى ... »

وهكذا ساعدتُ على جعل المكسيك مكاناً آمناً لشركات
البترول الاميركية ، سنة ١٩١٤ ؛ وعلى جعل هايتي وكوبا ارضاً
يستطيع الـ « ناشيونال سيتي بنك » استغلالها ... ومهدتُ السبيل
أمام بنك الاخوة براون لاستثمار نيكاراغوا سنة ١٩٠٩-١٩١٢ .
وفتحتُ ابواب الجمهورية الدومينيكية في وجه شركات السكر
الاميركية ، سنة ١٩١٦ ... أما في الصين فقد ساعدتُ شركة
ستاندرد أويل على أن تشق طريقها ، سنة ١٩٢٧ ، في سهولة
وئسر . *

وإذا كانت الامبراطورية الاميركية قد استهلت حياتها بالحرب
والعدوان فقد حققت نموّها الأعظم بالطريقة الدامية نفسها .
والواقع ان جميع ما كسبه الاستعمار الاميركي بعد ذلك ، تقريباً ،
ناشيء عن الدور الذي مثلته في الحربين العالميتين الاولى والثانية
وعن اعمالها وتهديداتها العسكرية في السنوات التي عقت الحرب
العالمية الثانية .

ولكن التوسع الاميركي لم يُحقّق كله بالطرائق العسكرية .
فقد لعب الضغط الاقتصادي دوره المهمّ في ذلك أيضاً . وهذا
الضغط يشمل ، في ما يشمل : (١) تقديم القروض الى البلدان
المستضعفة والتي خربتّها الحرب ، بشروط مناسبة للشركات
الاميركية . (٢) عقد الاتفاقات التجارية التي تحظر حماية الصناعات
في الدول المستضعفة من خطر الاحتكارات الاميركية الضخمة .
(٣) منع السفن من السفر الى بعض البلدان وشنّ الحرب على

* Smedley D. Butler in *Common Sense*, Nov., 1935.

علامتها الرسمية . (٤) تقوية العناصر الرجعية في البلدان الأخرى لكي تستطيع خدمة مصالح وول ستريت الواسعة . (٥) عقد المعاهدات التي تمكن الشركات الأميركية من الاستيلاء على موارد الشعوب الأخرى استيلاءً غير محدود . (٦) التدخل الديبلوماسي لانتزاع الامتيازات لمصلحة شركات أميركية بعينها . (٧) تعيين المستشارين الماليين الأميركيين وجامعي الضرائب ابتغاء السيطرة على مالية البلدان الضعيفة .

وطبيعياً أن تسير الطرائق العسكرية والطرائق الاقتصادية جنباً إلى جنب . ذلك بأن قوة الاستعمار الأميركي الاقتصادية تقدم الأساس الذي تقوم عليه قوته العسكرية . في حين أن الضغط الاقتصادي أو الديبلوماسي لا يجدي إلا إذا دعمته تدخل عسكري أو تهديد بالجوء إلى مثل هذا التدخل . وهكذا نلتقي جميع الأساليب في خطة توسعية عامة تكون « سلمية » حيناً ، وشبه حربية حيناً ، ولكنها موجّهة أبداً ضد شعوب البلدان التي يتفق أن تقع ضحية المطامع الأميركية .

وتعاون الكتل الاحتكارية المتحدة أو التروستات أوثق التعاون مع الحكومة المركزية على تحقيق هذا البرنامج . والواقع أن الشخصيات السياسية والعسكرية كثيراً ما تتناوب المنصب الكبير في وول ستريت وواشنطن . وهكذا نرى الدوائر الحكومية تتولى زمام السلطة الاقتصادية في بعض الأوقات ، على حين تمارس البيوتات المالية الكبرى هذه السلطة ، بصورة مباشرة ، في أوقات أخرى . أما السلطة العسكرية فتمارسها الحكومة عادةً ،

ولكن بعض الشركات الكبرى قد مارسها أحياناً بصورة مباشرة من طريق القوى المسلحة والحكومات المطوعة التي تقيمها في البلدان الخاضعة لسلطانها .

والحق ان ستراتيجية الولايات المتحدة الاستعمارية إنما تُريد بها ان تحقق أهدافها بأدنى ثمن ممكن وذلك من طريق تسخير الحلفاء، ورشوة الاعداء . إنها توجه ضربتها ، في المثل الأول ، الى جماعات الشعب العاملة والى الحركات التحررية الوطنية في البلدان المستعمرة ونصف المستعمرة . إنها تتحالف مع اكثر الطبقات وجعية في تلك البلاد ، ومع طبقة الاقطاعيين عادةً ، كما تتحالف مع الدول الاستعمارية منافسة لها أيضاً . واكثر هذه التحالفات استمراراً التحالف الانكليزي الاميركي الذي لعب دوراً بارزاً في الحرب الاسبانية الاميركية ، وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية .

أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري

يزعم المدافعون عن وول ستريت ان الولايات المتحدة ليست دولة استعمارية لأنها لا تمتلك امبراطورية استعمارية ضخمة كالامبراطورية البريطانية . وإنه في الواقع لدفع خسائر بحول أن يخلط ما بين الشكل والجوهر . ذلك أن جوهر الاستعمار هو فرض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على الشعوب المستضعفة . أما أشكال الاستعمار فتشمل ضم البلد المغلوب على أمره الى أراضي البلد الفاتح ، وإنشاء المستعمرات ، وإقامة الحكومات

المستقلة اسمياً والحاضعة للدولة الاستعمارية عملياً . وهذا الضرب
الاخير هو شكل الحكم نصف الاستعماري .

وهناك بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات أشكال انتقالية
مختلفة ، منها الانتداب ، والوصاية ، والدومنيون . وحتى الفارق
الرسمي بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات ليس كبيراً دائماً .
وهكذا نجد البريطانيين يلجأون في مستعمراتهم الى الاستعانة
بالقوات الوطنية وبالامراء الوطنيين والمجالس المحلية ما دام هؤلاء
دُمى متحركة في أيديهم ، ففعل الولايات المتحدة في أنصاف
المستعمرات الحاضعة لها . بل إن شكل الحكم الاستعماري ليس
دائماً أكثر استبداداً ولا أبشع استغلالاً من شكل الحكم نصف
الاستعماري . ومن هنا نرى أن الوضع السياسي والاقتصادي
والاجتماعي لسكان المستعمرات البريطانية في جزائر الهند الغربية
ليس على التحقيق اسوأ من وضع سكان أنصاف المستعمرات
الاميركية في اميركة الوسطى وبحر الكاريبيان .

وليس من ريب في أن الولايات المتحدة عملت على انتزاع
المستعمرات بالقسوة نفسها التي تصطنعها الدول الأوروبية ، حينما
وجدت ذلك مناسباً وميسوراً ، شأنها في بورتوريكو ، وهاواي ،
والجزر العذراء ، وآلاسكا ، ومختلف جزر المحيط الهادي ، وحتى
وقت قريب في الفلبين . وبعد الحرب العالمية الثانية فقدت
الولايات المتحدة جزءاً من امبراطوريتها الاستعمارية نتيجة منحها
« الاستقلال » للفلبين ، ولكنها توسعت بالفعل ، بما ضمت اليها
من جزائر مختلفة في المحيط الهادي ، وتوسعت بالقوة Potentially ،

من طريق احتلالها المانية الغربية واليابان احتلالاً عسكرياً .
بيد أن الاستعمار الاميريكي لم يلجأ ، في معظم البلدان التي
خضعت له ، الى أشكال الحكم الاستعمارية ، لان شكل الحكم
نصف الاستعماري المستقل استقلالاً اسمياً أثبت انه اكثر مرونة
وأدعى الى اعطاء الاستعمار الاميريكي ميزة على الاستعمار الاوروي
المنافس . أضف الى ذلك ان امراء وول ستريت الاستعماريين
اضطروا الى ان يدخلوا في حسابهم تقاليد الشعب الاميريكي
الديموقراطية ، هذا الشعب الذي استرى حريته بما سفك من دماء
في حرب ثورية شنها على مستعمره ؛ وان المزارعين والطبقات
الوسطى من اهل المدن أخذت تقاوم ، في العقود الاخيرة من
القرن التاسع عشر ، سلطان وول ستريت وشركائه الاحتكارية
الجشعة .

وهكذا آثر الاستعمار الاميريكي ان يصطنع اشكالاً جديدة
من الحكم الاستعماري وعمد رجاله الى تضليل الرأي العام فقالوا
ان هذه البلاد ، الولايات المتحدة ، لا تطمع في مغامرات اقليمية ، ولكنها
حريصة على رفاهية الشعوب الخاضعة لسلطانها ، ليس غير !
ومنذ الحرب العالمية الثانية وامراء وول ستريت يُفيدون
إفادة خاصة من هذه النعمة الاستعمارية المضلة . إنهم يحاولون ان
يتوسعوا ، تحت هذا القناع ، في كل مكان . وان واشتطون لتسعى
الى استغلال حركة التحرير المضطربة نيرانها في آسية كلها ، كما
استغلت قبل خمسين سنة نزعات التحرر في المستعمرات الاسبانية .
ومن سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ والخطة الاميركية الرئيسية

تقوم على مدّ المستعمرين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين بالسلاح ابتغاء القضاء على حركات التحرر الوطني في المستعمرات في حين تقضي بالعمل من وراء حجاب على إنشاء حكومات «مستقلة» تنهري لانتقاد البلاد من الشركات الاستعمارية الأوروبية وإحلال الشركات الاميركية محلها . وقد استعملت طرائق مشابهة في أوروبا التي غدت اليوم هدفاً مباشراً من أهداف وول ستريت الكثيرة .

حتى اذا كانت سنة ١٩٥٠ صار اصطناع هذه الاساليب أمراً اكثر صعوبة وأشدّ عسراً . ذلك بان شعوب البلدان المعنية ما عادت تخذع بافئدة الاستعمار على اختلافها . وفي آسية على الخصوص عززت هذه الشعوب تنظيمها وقوتها العسكرية ورفعت النضال التحريري الوطني في سبيل الارض ، والقدر الكافي من الطعام ، والاستقلال الصحيح الى درجة عجزت معها الحكومات العاملة بوحى الاستعمار عن الصمود في الميدان فاذا هي تبدو على حقيقتها من الافلاس والفساد . وهكذا دشنت اميركة خطة توسعية جديدة ، في كوريا ، فاستخدمت قواتها المسلحة ، تعاونها قوات الدول الأوروبية الاستعمارية ، بوصفها الأداة الرئيسية لفرض الاوضاع الاستعمارية وتخليدها أبداً الدهر .

٢. امبراطورية وول ستريت ...

كثيراً ما تُسمع في غرف اللجان البرلمانية بواسنتون شهادات صريحة حول الاحتكارات الضخمة والمشكلات التي يواجهها صغار التجار ، فينبوي ممثلو الامة الى انهجوم على تلك الكتل الاحتكارية وأساليبها في العمل ، ويصورون المصير المحزن الذي ينتظر صغار التجار ، حتى إذا خيل لهم انهم أرضوا رغبات الرأي العام رجعوا الى جدول الاعمال فقرروا بمجموعة من التشريعات الموحى بها من تلك التروستات نفسها ...

ومها يكن من أمر فان هذه المناقشات تمرر الكرام باخطر ما تقوم به هذه التروستات الكبرى من نشاط ، أعني مناوراتها الدولية الخطيرة . فبينما تجد عدداً من رجال الكونغرس يخذلون هذه التروستات في بعض مشاريعها الداخلية نرى قليلاً منهم يجرأون على خذلانها في مصالحها الخارجية التي 'تجلبل عادة' بالراية الاميركية . وعضو مجلس الشيوخ الذي يصوت ، يوم الاثنين مثلاً ، ضد التروستات العملاقة هو نفسه الذي يعطي صوته ، يوم الثلاثاء ، لامبراطورياتها العممية الواسعة باسم « المعونة الدولية » او « الدفاع الوطني » .

والواقع انه ليس في حقل « الشؤون الخارجية » او « السياسة العسكرية » ما لا يتصل بأخص مصالح الشركات المتكئة وأجشعها. ففي جميع اجزاء العالم ، من تشيلي الى غواتيمالا ، ومن اليونان الى المانية ، ومن كوريا الى ليبيريا ، حيث تتدخل الحكومة الاميركية عسكرياً او دبلوماسياً باسم « الحرية » او « مقاومة الشيوعية » يكون الدافع الحقيقي هو النحاس او الفاكهة ، النفط او الصناعة الثقيلة ، الذهب او المطاط ...

والسذج من الاميركيين الذين يعتقدون أننا لا نملك امبراطورية استعمارية ضخمة يدسون ان شركاتنا الاستثمارية تلك اضخم امبراطورية مالية عرفها التاريخ . وان الغرض الذي تهدف اليه سياسة الحكومة عندنا هو توطيد سلطانها السياسي وتوسيع رقعته لكي تمكن من وراء ذلك لهذه الامبراطورية المالية وتزيدها قوةً وبسطةً .

وإذا كانت الصناعة الاميركية مصفدة بأغلال الاحتكار فإن تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية خاضع لاحتكار أدهى وأمر. وتفصيل ذلك أن بضع مئات من الشركات تسيطر على الاقتصاد الوطني في داخل الولايات المتحدة . ولكن قلة قليلة من هذه الشركات تملك من القوة الاقتصادية والسياسية ما يمكنها من ان تنتزع ممتلكات اجنبية واسعة ، وتحصل على الارباح الخاصة التي تنشأ عن انخفاض مستوى الأجور في المستعمرات والبلدان الاجنبية ، وتتخلص من مزاحمة الشركات البريطانية والالمانية وغيرها من التروستات الاستعمارية وتهيمن على الحياة السياسية في بلدان برمتها

كجزء لا يتجزأ من الحطة الرامية الى فرض السيطرة الاقتصادية عليها .

ففي سنة ١٩٤٣ كانت ثمة مائة شركة اميركية كبرى تملك ٧٠٪ من موجودات مختلف المشروعات الخارجية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة * . ولكن امواج السياسة الدولية كانت أعتى من ان تطبقها معظم هذه الشركات في ما بعد الحرب العالمية الثانية . وفي سنة ١٩٤٧ استأثرت عشر شركات بتصدير ما يزيد على ٧٥٪ من الرساميل الجديدة الى البلدان الاجنبية ** .

وليس من ريب في ان حاجات هذه التروستات العشر ومطالبتها مسؤولة الى حد بعيد عن مختلف التطورات التي طرأت على السياسة الخارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . وإذن فمن الضروري ان ندرس المركز العالمي الذي تتمتع به كبريات الشركات الاميركية واقتسامها الصناعات والمواد العالمية في ما بينها وبين زميلاتها البريطانية والهولندية والفرنسية وغيرها . وإنما يتجلى اقتسام العالم وتوزعه بين التروستات الكبرى اوضح ما يتجلى في المواد الصناعية الأساسية : النفط والمعادن . وهذه المنتجات تستخرج (وتصفى في بعض الاحيان) في المستعمرات وأنصاف المستعمرات ثم تحمل الى المراكز الامبراطورية حيث تُعدّ في أشكالها النهائية ومن ثم تباع في الاسواق العالمية ..

* U. S. Treasury Dept., *Census of American-Owned Assets in Foreign Countries*, p. 29, 1947.

** U. S. Dept. of Commerce, *Survey of Current Business*, Nov., 1949, p. 20.

شركات النفط المتحددة تنقسم العالم في ما بينها

تحتل شركة ستاندرود أوويل (نيو جيرزي) أكبر جزء من امبراطورية رو كفاور النفطية. وقد أنتجت هذه الشركة او سيطرت على خمس ما انتجه العالم الرأسمالي كله من النفط في سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ تقريباً . والحق أنها اصدورت سنة ١٩٤٩ خريطة للعالم تمثل مناطق إنتاج النفط الاربع عشرة التي تهيمن عليها ، ومواقع مصافها الاربعين ، وعددآ لا يحصى من اسواقها الواسعة. وقد تعجب اذا علمت ان المناطق المظلمة باللون الأخضر والتي ترمز الى اسواق هذه الشركة العالمية تمثل مواطن يبلغ مجموع سكانها ١٦٦٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة أي ٧٢ ٪ من مجموع سكان العالم كله . واذا استثنينا من هذه الرقعة الجزء الاكبر من الصين وشمالي كوريا، بلغ مجموع سكان الاسواق التي تسيطر عليها شركة ستاندرود اوويل اوف نيو جيرزي ١٦٢٦٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة او ٨٠ ٪ من السكان في العالم الخاضع لسلطان الرأسمالية .

واليك فيما يلي جدولاً بيانياً باسواق هذه الشركة الهائلة ونسبتها الى اسواق الشركات الرأسمالية مجتمعة ، كما كانت سنة ١٩٤٩ :

عدد السكان (بالملايين)

مناطق شركة ستاندرود أوويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرود أوويل من المجموع
اميركة الشمالية بكاملها	١١٣	٥٥ بالمئة
الولايات المتحدة وحدها	٧٤	٥٢
اميركة الجنوبية	٩٦	٩٣
أوروبة	٢٣٩	٨٠

مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
٧١٨	٧٦٧	٩٤ بالمئة
١٢	١٢	» ١٠٠
٨٤	١٨٨	» ٤٥
١٢٦٢	١٥٧٣	» ٨٠
العالم (الرأسمالي)		

ولا تنفرد شركة ستاندرد أويل بحق العمل في معظم هذه المناطق. فهي تتقاسمها مع واحدة أو أكثر من التروستات الأخرى ، على أساس من توزيع الاسواق وتحديد الأسعار بالاتفاق . والواقع ان العالم الرأسمالي تكاد تتوزعه كله سبع من تروستات النفط ، يملك آل ووكفيل ثلاثاً منها ، ويملك « ميلون » Mellon واحدة ، وملك الخامسة شركات اميركية أخرى ، اما السادسة فبريطانية ، واما السابعة فبريطانية هولندية . *

وقد تنفرد كل من هذه التروستات في العمل حيناً . فشركة ستاندارد أويل (نيوجيرزي) مثلاً تسيطر على انتاج البترول في كولومبيا بواسطة شركة مساعدة هي التروبيكال أويل كومباني . وقد تنهض ببعض المشروعات الاخرى شركات خاصة تندمج فيها مصالح اثنين أو أكثر من الكتل السبع الكبرى . وهكذا فان امتياز النفط في المملكة العربية السعودية يملكه شركة البترول

* وهذه التروستات السبع هي : (١) ستاندارد أويل اوف نيو جيرزي (روكفلر) (٢) شركة شل (رساميل هولندية بريطانية) ؛ (٣) شركة النفط الانكوا ايرانية (بريطانية) ؛ (٤) شركة سوكوني واكيوم (روكفلر) ؛ (٥) شركة تكساس (روكفلر ، ومورغان ، وغيرها) ؛ (٦) ستاندرد أويل اوف كاليفورنيا (روكفلر وغيره) ؛ (٧) شركة نفط الخليج (ميلون) .

العربية الاميركية (آرامكو) التي تسهم فيها اربع من شركات الولايات المتحدة الكبرى * وهذه الشركات الاربعة تجتمع مع مجموعة شل الهولندية في شركة خاصة تملك امتياز النفط في غينيا الجديدة . في حين تجتمع شركة نفط الخليج وشركة النفط الانكلو ايرانية في شركة بتروال الكويت .

وفي سنة ١٩٣٩ كانت هذه الشركات السبع تهيمن على ثمانين بالمائة من مجموع انتاج البترول خارج الولايات المتحدة والمكسيك والاتحاد السوفياتي . وقد تعاظمت حصتها منذ ذلك الحين .

شركات المعادن الدولية

وتتوزع انتاج النحاس في العالم الرأسمالي ثلاث شركات اميركية كبرى وعدد من الشركات البريطانية والبلجيكية . اما الثلاث الاميركية الكبرى (شركة آناكوندا للنحاس Anaconda Copper وشركة كينيكوت للنحاس Kennecott Copper وشركة فلبس دودج Phelps Dodge) فتسيطر على ثلاثة ارباع احتياطي النحاس في الولايات المتحدة ، وعلى ثلث النحاس في العالم الرأسمالي خارج الولايات المتحدة .

ويؤخذ من تقرير اصدورته لجنة التجارة الفدرالية ان ثمة ستة رجال « يسيطرون بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة على سياسة انتاج النحاس العالمي وتقرير اسعاره » * واليك اسماء هؤلاء

* هي ستاندرد اويل (كاليفورنيا) وشركة تكساس ، وستاندرد اويل (نيو جيرسي) ، وشركة سوكوني فاكيوم .

Report of the Federal Trade Commission on the Copper Industry, pp. 174 ff., 1947.

الرجال الستة والشركات التي يمثلونها :

كورنيليوس كيبي (شركة آنا كوندرا) ؛ إ. ت. ستانارد
(شركة كنيكوت) ؛ فود سيرلز الصغير (خبير شركة مورغان
في التعدين والنفط ، ونائب رئيس شركة نيومونت للتعدين) ؛
آ. تشاستر بيتي (مناجم النحاس الروديسية) ؛ ووبرت ستانلي
(شركة النيكل الدولية) ؛ واخيراً لويس كايتس (شركة فلبس
دودج) .

وهؤلاء الرجال يتنافسون على انتزاع حصة الأسد ، ولكنهم
يلتقون ويتعاونون على استغلال العمال الذين ينتجون النحاس ابشع
ما يكون الاستغلال ، وعلى إقامة العراقيل في وجه جميع الدخلاء
الراغبين في ان تكون لهم حصة في ذلك الاستثمار .

وخمسة من هؤلاء الرجال الستة امير كيون ، وواحد بريطاني
(آ. تشاستر بيتي) . وهذا دليل لا یتَّهَم على ان وول ستريت
يسيطر على شركات النحاس الدولية سيطرةً شبه كاملة . واذا كان
آل رو كفلر يسيطرون على النفط فإن بيت مورغان المالي هو
المسيطر على صناعة النحاس . فمنذ سنة ١٩٤٥ ومورغان وشركاؤه
والمصارف المتحالفة معه يملكون ست عشرة مديرية في شركات
النحاس الكبرى في حين يملك الـ « تشايس ناسيونال بنك » الذي
تسيطر عليه مجموعة رو كفلر سبع مديريات ليس غير .

ومثل ' فرد' سيرلز الصغير ، احد الرجال الستة الذين اشرنا
اليهم آنفاً ، يصوّر لك مدى ادغام الحكومة الاميركية بالشركات
الاستثمارية والمصارف الكبرى . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية

كان هذا الرجل يحتلّ عدة مناصب رئيحية هم بيت مورغان المالي الى حد بعيد . وكان احدها منصب « مستشار الانتاج » لجيمس برنز الذي كان يومذاك مديراً لمكتب التعبئة الحربية . وفي سنة ١٩٤٦ عندما اسندت وزارة الخارجية الى المستر برنز فزع زعماء افريقية الجنوبية الغربية الى منظمة الامم المتحدة والتمسوا مساعدتها في صراعهم للتحرّر من نير المستعمرين العرقيين في جنوبي افريقية . فما كان من مندوبي الولايات المتحدة في تلك المنظمة الا ان قاموا بحملة تخريبية حالت دون نصرة الزعماء الافريقيين . وقد كافأت حكومة جنوبي افريقية المستعمرين البريطانيين والاميركيين على موقفهم ذاك بان عهدت اليهم في استثمار مناجم النحاس الغنية في جنوب غربي افريقية ، وكانت تستثمرها من قبل شركة المانية صودرت اثناء الحرب العالمية الثانية . اما حصة بيت مورغان المالي وشركة نيومونت للتعدين * فكانت ثلثي الأسهم ليس غير ... ومن طريق توظيف مليون دولار نقداً في هذا المشروع استطاع المساهمون البريطانيون والاميركيون الجدد ان يجنوا ارباحاً صافية بلغت تسعة ملايين دولار في ثلاث سنوات وفي سنة ١٩٤٧ ترك جيمس برنز وزارة الخارجية ، وما هي الا فترة قصيرة حتى عُيّن مديراً لشركة نيومونت للتعدين !

وهذا التعقيد الذي نراه في تنظيم احتكار النحاس العالمي لا اثر له في احتكار النيكل . فهناك شركة واحدة ، هي شركة النيكل الدولية ، تنتج خمسة اسداس النيكل في العالم الرأسمالي كله . وبدلاً

* الذين يعمل فرد سيزلز لحسابها . [العرب]

من ان تنبري سائر المجموعات الاميركية والبريطانية والكندية الى تنظيم شركات مستقلة، نراها توازن قواها من طريق امتلاك الاسهم والتنافس على المديرات في هذه الشركة المفردة. وهنا ايضاً تحظى الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر من الغنيمة. ففي اواخر سنة ١٩٤٩ كان الاميركيون يحتلون رئاسة اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية وسبعة مقاعد من تسعة تتألف منها هذه اللجنة. والواقع ان جون فوستر داليز احد الكوأكب الالامعة في السياسة الخارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية هو مدير اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية واحد اعضائها، ورئيس مكتب سوليفان وكروموويل القانوني الذي تعتمد الشركة وتستشير به في كل مهم من امورها.

اما الالومنيوم فتستبد به مجموعة واسمالية واحدة هي اسرة ميلون Mellon. وهذه الشركة العائلية (شركة الالومنيوم الاميركية Aluminum Corp. of America وتعرف اختصاراً باسم آلكووا Alcoa) تسيطر على القسم الاعظم من إنتاج الالومنيوم العالمي من طريق سيادتها المطلقة على هذا الميدان، في الولايات المتحدة وكندا، وسلطانها على الشركات النوويجية والايطالية، وامتلاكها لحقوق مادة البوكسيت في غينيا البريطانية والهولندية، وفي يوغوسلافية وفرنسة. وتعاظم نمو « آلكووا » تعاظماً هائلاً اثناء الحرب العالمية الثانية عندما اخذ انتاج الطائرات الحربية يستهلك مقادير قياسية من الالومنيوم. وفي الوقت نفسه ازيجت من الميدان، مؤقتاً، منافستها العالمية الرئيسية أعني تروست الالومنيوم الألمانية.

والواقع ان انتاج شركة «آلكووا» تضاعف ثلاث مرات في ما بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٨ ، وان حصتها من مجموع انتاج العالم الرأسمالي ازدادت من ٤٠ ٪ الى ٦٥ ٪ ، على الرغم من ان شركتين جديدتين ، كلير Kaiser ورينولدس Reynolds ، اقتحمتا ميدان انتاج الألومنيوم في الولايات المتحدة . وبانشاء هاتين الشركتين صارت الرساميل الاميركية تهيمن على نحو ٨٥ ٪ من مجموع انتاج الألومنيوم الأولي في العالم الرأسمالي .

الأمبراطوريات الصناعية

ولكن سلطان الشركات الاميركية الكبرى في البلدان الاجنبية ليس مقصوراً على استخراج المواد الخام وإعدادها للاستهلاك إعداداً أولياً ، فالاحتكارات الصناعية الضخمة تغرق أسواق العالم بمنتجاتها أيضاً . والواقع ان مصانع فورد وجنرال موتورز أخرجت وحدها ٤٠ ٪ من مجموع انتاج السيارات في العالم الرأسمالي كله ، باستثناء الولايات المتحدة ، سنة ١٩٤٨ . وجميع المصانع الاميركية الكبرى تقريباً مصانع فرعية منشورة في طول العالم الرأسمالي وعرضه . والمرکز المتفوق الذي تحتله مجموعة مورغان في الصناعات الكهربائية بالولايات المتحدة - ابتداء من الراديو الى مولد الطاقة ومن البرود الى التلفون - معروف مشهور . وهذه الامبراطورية تنظم العالم بأسره أو تكاد .

وواسطة العقد في امبراطورية مورغان العالمية هي شركة جنرال اليكتريك ، أقوى التروستات الاميركية في ميدان الكهرباء .

والواقع أن هذه الشركة العملاقة تملك ما يتراوح بين ١٥ ٪ و ٤٩ ٪ من أسهم الشركات الكبرى المنتجة للمعدات الكهربائية في اليابان ، وألمانيا ، وفرنسة ، ومراكش ، وانكلترة ، وإيطاليا . كما تملك نسباً أخرى متفاوتة من أسهم الشركات المنتجة للمعدات الكهربائية في النمسا ، وبلجيكة ، وتشيلي ، وهولندة ، وإسبانية ، والسويد ، وتركية . أما في الأرجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك وأوروغواي ، وجنوبي افريقية ، والصين فتملك مصانع لاتتاج المعدات الكهربائية لا يشاركها فيها احد .

ولا يزال توسع « جنرال ايلكتريك » الخارجي ينمو في اطراد . وقد بلغت الرساميل الجديدة التي وظفتها في البلدان الخارجية خلال السنوات الاربع التي عقت انتهاء الحرب العالمية الثانية ٨٥ مليون دولار . (نحو ربع مجموع الاموال التي وظفتها الشركة في تلك المدة نفسها .)

نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

لقد درسنا الى الآن اقسام ملكية المشروعات الصناعية من طريق تصدير الشركات الكبرى لرأس المال . فلننظر هنا في ظاهرة جديدة من ظواهر الاستعمار البارزة وهي اقسام اسواق العالم الرأسمالي من طريق نظام المحالفات الاقتصادية الدولية Cartel System . وقد تختلف هذه المحالفات في طرائقها ولكنها تلتقي جميعاً عند اصول ومبادئ لا تعدوها .

أما اول هذه المبادئ ، فالاحتفاظ بأسعار احتكارية مرتفعة .

وثانيتها احتكار الاسرار التقنية technical في ما بين الشركات التي تنظمها المحالفة . وثالثها تعديل الانتاج من طريق أنصبة (كوتا) متفق عليها ومبنية على اساس من حالة الاسواق في العالم الرأسمالي . اما رابع هذه المبادئ فتقسيم الاسواق تقسيماً إقليميًّا يجعل من هذه المنطقة او تلك سوقاً تستقل به بعض الشركات الوطنية ، ويوزع مناطق البيع في الاسواق الاخرى .

وفي ميسورك ان تكون فكرة عن الارباح التي جنتها التروستات الاميركية من طريق المحالفات الاقتصادية الدولية المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية إذا علمت ان شركة * الهندسة والسبك المتحدة في بيتسبورغ * - وهي تقع ضمن دائرة نفوذ « ميلون » ولكنها متصلة ايضاً بأحد المصارف النيويوركية التي يسيطر عليها مورغان - هي اكبر التروستات التي تقسم في ما بينها اسواق الفولاذ في العالم ، وانها عقدت سنة ١٩٤٧ اتفاقات مع الشركات الاجنبية المنافسة انحدرت هذه الشركات الى مرتبة وكيل يبيع لحساب شركة الهندسة والسبك المتحدة ، لقاء عمولة معينة في معظم بلدان العالم ، ولكنها اذنت لها في ان تبيع منتجات من صنعها هي في مناطق محدودة جداً ، شرط ان تدفع الى شركة الهندسة والسبك ضريبة عن هذه المبيعات ...

ومثل هذا الوضع كان قائماً ، قبل الحرب العالمية الثانية ، في صناعة المعدات الكهربائية . فقد ابتلعت شركتنا جنرال ايلكترك

* United Engineering and Foundry Company of Pittsburgh.
** بيتسبورغ مدينة في بنسلفانيا مشهورة بصناعة الحديد والفولاذ. [المغرب]

(مورغان) ووستنكهاموس (مليون - روكفلر) سائر الشركات المنافسة لهما في الولايات المتحدة وقسمتا السوق المحلية في ما بينهما . . ليس هذا فحسب بل لقد وظفتا رساميل كبيرة خارج الحدود الاميركية وقسمتا الشركات الاجنبية اجزاء كبيرة من السوق العالمي . وفي سنة ١٩٣٠ تم اقتسام الاسواق في العالم الراسمالي من طريق محالفة اقتصادية دولية Cartel عقدت بين تسع من شركات المعدات الكهربائية العالمية وعلى رأسها الشركتان الاميركيتان العملاقان . . .

ولكن ما المعاني التي تستفاد من هذا كله ؟ يستفاد من هذا أولاً ، أن المعدات الكهربائية الثقيلة لا يمكن ان تشتري في اية بقعة من العالم الراسمالي من غير ان يدفع المشتري الجزية الحصة التي تفرضها شركات الاحتكار التسع . ثانياً ، ان القوى الرأسمالية التي تقف من وراء الشركات الكهربائية في كل من البلدان الاستعمارية تملك قوة النقض او « الفيتو » في ما يتصل بتطوير الطاقة الكهربائية والصناعات المسيرة بها في افطار العالم الراسمالي قاطبة . ثالثاً ، ان لمؤسسة مورغان ، بفضل مركزها الخاص ، وتداخلها العريض في الشركات الاخرى ، وسيطرتها العارمة على براءات الامتياز ، الصوت الأعلى في هذا الاحتكار . . . فاذا رغب نفر من اهل البرازيل مثلاً في أن يقيموا منشآت لتوليد الطاقة الكهربائية فيتعين عليهم أن يشتروا المولدات والتربينات turbines من الشركات المنتظمة في هذا الاحتكار الدولي ، ويدفعوا اليها الجعالة الدائمة التي تفرضها عليهم ، ويعهدوا في إقامة

هذه المنشآت الى مؤسسات هندسية تربطها بشركات الاحتكار
ورابطة نسب أو قرْبى . ليس هذا فحسب ، بل يتعين على
اولئك البرازيليين أيضاً أن لا ينتهجوا إنما سياسة قد تعود بأذى
جدي على مصالح شركات الاحتكار في البرازيل ...

فاذا رغب البرازيليون في اجتناب الوقوع في هذا الشرك ففي
ميسورهم أن يفزعوا الى شركة جنرال ايلكترىك البريطانية التي
تملك الرساميل الاميركية ٤٠ بالمائة من اسهمها ، أو الى شركة
جنرال ايلكترىك الالمانية التي تبلغ حصة الرأسمالين الاميركيين
١٨ بالمائة من اسهمها ليس غير ! ... وحيث تلفت اولئك
البرازيليون فلن يقعوا إلا على شركات خضعة إما لسيطرة جنرال
ايلكترىك أو لسيطرة وستنكهاوس ...

امبراطورية المصارف

وكما تقف المصارف الكبرى من وراء الاحتكارات الصناعية
في الوطن ، كذلك تشارك في النشاط الاقتصادي الذي تقوم به
الشركات الاميركية في مختلف البلدان الأجنبية . وإنما تلعب هذه
المصارف دور المفْعري بالتوسع الخارجي ، المفْارِض من اجل
تحقيقه . والواقع ان اصحاب مصارف التوظيف كانوا ، قبل عام
١٩٣٠ ، يفرضون المشروعات الأجنبية ويروجون لها بصورة
مباشرة ، ولكنهم فرضوا سيطرتهم منذ الحرب العالمية الثانية على
أدوات اكثر فعالية . وليس من ريب في ان كل سَنَتٍ
(فلس) من القروض الهائلة التي تعقدها الولايات المتحدة مع

البلدان الأخرى أو التي تُقدّم الى هذه البلدان من طريق البنك الدولي إنما يقدّمها في الواقع أصحاب مصارف التوظيف الكبرى في اميركة . ولعلك تعجب إذا علمت أن ممثلي أصحاب المصارف هؤلاء، المباشرين ، يحتلون المناصب الرئيسية في وكالات الأقرض والتسليف ، وأن رجالهم يديرون بأنفسهم وزارة المالية الاميركية وانهم قد انشأوا لجنة استشارية لتوجيه الحكومة في القضايا المالية الدولية ...

وفوق ذلك كله تشارك المصارف الاميركية ، مباشرة ، في مشروعات التوظيف المالي في الخارج . والحق ان المصارف الأميركية الأربعة الكبرى : **فاشيونال سيتي** * ، **وتشايس فاشيونال** (روكفلر) و **غاورنتي تروست** (مورغان) ، و **بنك اميركة** (جيانيني) ، فروعاً كثيرة خارج الولايات المتحدة ، وانها تتمتع بالنفوذ الأقوى في ميدان النشاط العالمي الذي تقوم به الرساميل الأميركية

الامبراطورية الإقليمية

والحق أن تقسيم العالم ما بين الكتل الصناعية والمالية يجري جنباً الى جنب مع تقسيم العالم الرأسمالي تقسيماً جغرافياً الى امبراطوريات استعمارية تخضع كل منها ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، لمركز معين من مراكز القوة والسلطان . واليك

* ولورغان أعظم السيطرة على هذا المصرف الضخم الذي يبلغ عدد فروعه واحداً وخمسين فرعاً منتشرة في أرجاء العالم . [المؤلف]

فيما يلي خريطة تقريبية للامبراطورية الاميركية . وقد اجتزأنا فيها بذكر البلدان التي رسخت فيها السيطرة الاميركية الاستعمارية رسوخاً جعل مرافقها القومية المهمة ملصكاً للرساميل الاميركية او خاضعة لسلطانها . أما النجوم فتشير الى البلدان التي اعتبرها البروفسور توماس باركر مون Moon منذ سنة ١٩٢٦ ، جزءاً من الامبراطورية الاميركية ، في كتابه الموسوم بـ « الاستعمار والسياسة العالمية . »

الامبراطورية الاميركية سنة ١٩٥٠

عدد السكان سنة ١٩٤٧	التروستات الاميركية
(بالملايين)	او المرافق التي تسيطر عليها
٥٠١	شركات صيد الاسماك
١٣	شركات مختلفة
٤٠٢	شركة « آلكووا »
٥	تروستات السكر
٢٣	معادن مختلفة
١٥	شركة القاكهة المتحدة
٢	ناشيونال سيتي بنك
٤	تروستات السكر
١١	ستاندارداويل (نيوجيرزي)
٨	ستاندارداويل (نيوجيرزي)
٦	و.و. غرايس (النقل البحري)
٤	سيرو دي ناسكو (النحاس)
٤٨	شركة آناكوندا وشركة كينيكوت (النحاس)
	شركة المعادن الاميركية (الصفوح)
	شركات مختلفة
	الاسكا *
	كندا
	غرينلاند
	كوبا *
	المكسيك
	ثمانية بلدان صغرى في اميركية الوسطى * وبحر الكاريبيان
	بورتوريكو *
	فنزويلا
	كولومبيا
	بيرو
	شيلي
	بوليفيا
	البرازيل

غينيا (الهولندية والبريطانية)	١	شركة آلكووا (البوكسيت)
هوايي *	٥٥	شركات السكر
الفلبين *	٢٠	شركات مختلفة
العربية السعودية والبحرين	٦	اربع شركات كبرى للنفط
تركية	١٩	الكروميت
اسرائيل	١	شركات مختلفة
اليونان	٨	التبغ
ليبيريا	٢	شركة فايرستون للمطاط،
		شركة الفولاذ الجمهورية

١٩٧

مجموع السكان

وفي خمسة بلدان اخرى على الاقل غم، النفوذ الاميركي نمواً كبيراً، وشرعت الرساميل الاميركية ترحل الرساميل البريطانية وغيرها عن مكائتها :

عدد السكان (بالملايين)

الارجنتين	١٦
اسبانية	٢٨
مصر	١٩
طاييلند	١٧
يوغوسلافية	١٦

٩٦

مجموع السكان

واليابان (٧٨ مليون نسمة) والمانية الغربية (٤٨ مليون نسمة) وضع خاص . فالقوات الاميركية المسلحة تحتل هذين البلدين ، والرساميل المالية الاميركية تسيطر على تجارتها ائحارجية . وقد وظفت شركات الولايات المتحدة أموالاً ضخمة فيها منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . ولكن اليابان والمانية الغربية بلدان متطوران ، لا يزال ابناؤهما يملكون معظم الصناعات الاساسية . والنضال الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي في كلا البلدين قوي الى

درجة حملت وول ستريت على التردد في بسط إشرافه المباشر على مرافق الاقتصاد الخامسة . ومن هنا فإن الحكم الاستعماري الأمريكي لما توطد أركانه توطيداً كاملاً في هذين البلدين .

وهكذا نستطيع ان نجمل في ما يلي مناطق السلطان الاستعماري الاميركي كما تبدو سنة ١٩٥٠ ، آخذين بعين الاعتبار اختلاف ظلال السيطرة ودرجاتها :

عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)

١٤٤

الولايات المتحدة الاميركية

بلدان تسيطر الولايات المتحدة

١٩٧

على مرافقها الاقتصادية سيطرة تامة .

بلدان في سيطرتها الى الخضوع

٩٦

للسيطرة الاميركية .

بلدان تحتلها الولايات المتحدة

احتلالاً عسكرياً ، ولكن حكمها

١٢٦

الاستعماري لم توطد أركانه فيها .

مجموع سكان الامبراطورية

٥٦٣

الاميركية ، بمعناها الواسع .

والحق أن سكان بريطانيا ومنطقتها الأسترلينية يبلغ عددهم أكثر من هذا الرقم بقليل . ولكن من الخطأ أن نستنتج من ذلك أن الامبراطورية البريطانية اكبر من الامبراطورية الأميركية . ذلك بأن قبضة الاستعمار البريطاني هي اليوم أضعف مما كانت أمس . وإن عدداً من البلدان التي تشكل أجزاء رئيسية في تلك الامبراطورية بسبيل الانفصال عنها أو الانضواء تحت راية الاستعمار الأميركي الأقوى . وفي بعض المناطق البريطانية

الأخرى يتصدر الرأسمليون الأميركيون لمشاركة زملائهم
الغنية في نسب متزايدة ، وهو وضع لا نجد ما يقابله في
الامبراطورية الأميركية .

وهكذا نرى ان الامبراطورية الاميركية هي اليوم ، في
الواقع ، أوسع وأقوى امبراطورية استعمارية على ظهر هذا
الكوكب . وأن نحواً من ثلث سكان العالم الرأسمالي يعيشون
ضمن نطاقها . وأياً ما كان فإن منطقة نفوذ رأس المال الاميركي
أوسع من ذلك أيضاً . فهي تشمل جميع بلدان اوروبا الغربية
المنتظمة في مشروع مارشال ، ومستعمرات هذه البلدان وأنصاف
مستعمراتها . وليس من ريب في أن نفوذ اميركة العسكري
والاقتصادي آخذ في التعاضد على تفاوت في القوة والسرعة ، في
جميع هذه الأمصار . وكلما ازداد تورط العناصر التي تحكم تلك
البلاد في مشروع مارشال ، والحلف الأطلسي ، وإعداد العدة
لحرب عالمية ثالثة انتهت حرية التصرف عندهم إلى أن ترسف في
قيود أشد ، وأغلال أثقل .

وهذه المناطق ، اذا ما اضيفت الى بلدان الامبراطورية
الاميركية نفسها ، تؤلف العالم الرأسمالي بقضه وقضيضه .

٣. وول ستريت ومأساة الزوج ...

يبتز الاستعمار الاميركي اليوم ارباحاً ضخمةً من اجزاء العالم الرأسمالي جميعاً . ولكن الركن الاساسي الذي تقوم عليه ارباح وول ستريت الفاحشة ، والذي يدر على امراء هذا الحي المالي عائدات تفوق تلك التي يجنونها من ايما بلد اجنبي منفرد ، هو اضطهاد الشعب الزنجي في الولايات المتحدة نفسها .

والواقع ان مكاسب عديدةً تمت للزوج في السنوات التي تلت الحرب الاهلية مباشرةً . فقد احتل ممثلوهم عدداً من مقاعد الكونغرس ، واشتركوا في مجالس الولايات التشريعية ، وأسهموا مع حلفائهم البيض في إدارة عددٍ من حكومات الولايات الجنوبية . لقد قاتلوا من اجل ملكية الارض ، وحق التصويت ، وحق حمل السلاح ، وحق التعليم ، وضد ضروب الأضرار والتمييز على اختلاف اشكالها .

ولكن هذه الثورة الاميركية الثانية لم تُستكمل . وهي لن تبلغ كلها إلا حين تم للزوج ملكية الارض التي حرثوها طوال اجيال عديدة ، وبذلك يتوفر لهم اساس اقتصادي لتحقيق تحررهم الرسمي من العبودية . والذي لا ريب فيه ان الصناعيين من اهل

الشمال ، الذي سيطروا على الحكومة الفدرالية في عهد الحرب
الاهلية ، لم يكونوا راغبين في تحرير الشعب الزنجي تحريراً صحيحاً .
كل ما كانوا يسعون بسبيله هو ان يحلوا محل مالكي العبيد الجنوبيين
في استغلال الشعب الزنجي اقصى ما يكون الاستغلال . والحق
ان النهج السياسي الذي اتبعه الحزب الجمهوري والجيش في الولايات
الجنوبية كان تحالفاً مع مالكي العبيد السابقين لأخضاع الشعب
الزنجي من جديد . اما النهج الاقتصادي الذي اختاره فكان
يهدف الى منع الشعب الزنجي من امتلاك الأرض ، وإقامة نظام
الانتاج على اساس جديد تكون حصة الاسد فيه لأصحاب المصارف
والمصانع والتجار من اهل الشمال ، في حين يكون مالكو
الاراضي الجنوبيون شركاء ثانويين ومناظرين عاديين .

وقد بلغت هذه العملية اوجها خلال العقد الاخير من القرن
التاسع عشر عندما وجد ضغط الاحتكارات المصرفية والصناعية ،
لأول مرة ، متنفساً كبيراً له في الجنوب . وفي هذا العقد
على الخصوص والسنوات التي تلت مباشرة رفعت القواعد للتشكيل
بالشعب الزنجي في الجنوب . فوضعت دساتير للولايات جديدة على
اساس التمييز ما بين السود والبيض ، وطرد الزنوج من مجالس
الحكومات المحلية ومن الكونغرس الاميركي . وسجل في مدى
ثلاث عشرة سنة نحو الف حادثة من حوادث الاعدام غير المشروع
الذي اتول بالزنوج ظلماً وعدواناً .

وسار اخضاع الشعب الزنجي ، اقتصادياً ، مع حملة الارهاب
والتشكيل جنباً الى جنب . فها هي الافة حتى أبعد العمال

الزواج عن الاعمال ذات الرواتب العالية وحيل بينهم وبين بعض الصناعات بالكلية (المنسوجات القطنية مثلاً) . فالتمسوا الرزق من طريق القيام بأعمال البناء الشاقفة ، والالتحاق بالمناجم . واتخذت إجراءات خاصة للحوول بين الزوج واملاك المزارع ، وفرض العبودية الزراعية والعمل الصناعي ذي الاجر الضئيل على اكبر عدد منهم .

وفي الوقت نفسه ضيق اصحاب المصارف والاحتكارات الصناعية الشمالية الحناق على الحياة الاقتصادية الجنوبية لكي يبتزوا الارباح الفاحشة من الشعب الزنجي المضطهد . فعززوا صناعة الفحم والحديد والفولاذ والقطن والتبغ ووسعوا شبكة السكك الحديدية واخضعوا ذلك كله ، على تفاوت في الدرجة ، لسلطان رأس المال الشمالي . وفي السنوات التالية تضاعفت الاموال الشمالية الموظفة في اصقاع الجنوب وامتدت الى صناعات جديدة - كالنفط ، والطاقة الكهربائية ، والحديد الصناعي والمواد الكيميائية - امتداداً عجبياً جعل انصبه الشماليين فيها اكبر من انصبته في الصناعات القديمة نفسها .

وهكذا حوّل الجنوب ، عملياً ، الى نصف مستعمرة لحوول ستريت ، وانتهى الزواج الى ان يكونوا عمالاً شبه مسخرين في تلك المستعمرة .

ومع الايام ازداد عدد الزوج واشتدت حاجة المصانع الشمالية وبخاصة ايام الحروب ، الى العمال . فُشجع ملايين من الزوج على الانتقال الى الشمال حيث انزل بهم اقطاب المال انفسهم ضروب

الاضطهاد والاستئثار عنها ، ولكن بأشكالٍ أقلّ وضوحاً من تلك التي عرفوها في الجنوب .

استغلال الزنوج استفزازاً فامشاً

والشعب الزنجي ، كالشعوب المستعمرة ، لا يملك صناعةً ما ، وليس له غير نصيب ضئيل جداً في ملكية رأس المال بأي شكلٍ من أشكالها . ومع ذلك فهو يقدم مقداراً غير متوازن من العمل الثقيل الذي تجني منه الرساميل الأميركية أرباحها الأسطورية . فنحو ثلاثة أرباع العمال الذكور غير البيض كانوا يعملون في سنة ١٩٤٠ كزراع أو عمال أو مستخدمين . أما العمال البيض في هذه الحقول فبلغت نسبتهم الثلث تقريباً .

وهكذا فإن طفليّة الحياة الأميركية المتعددة الجوانب التي تعتقدها الملايين من السكان ، واجور العمال الفنيين المرتفعة نسبياً إنما تنهض الى حدٍ غير يسير على كدح الشعب الزنجي القاصم للظهور في المزارع والمدن .

وفي سنة ١٩٤٧ بلغ متوسط دخل العامل الأبيض ١٩٨٠ دولاراً سنوياً ، في حين بلغ متوسط دخل العامل غير الأبيض ٨٦٣ دولاراً ، أي ٤٣،٦٪ من دخل زميله الأبيض . *

وهذا الفرق الذي ينف على ١١٠٠ دولار يمثل مقدار الدخل الاضافي والارباح الفاحشة التي يبتزها اصحاب العمل من العامل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P - 60, *Incomes of Families and Persons in the United States*, 1947, table 22, p. 29.

الزنجي المتوسط زيادةً على الارباح السوية normal التي يجنونها من العامل الابيض . والواقع ان الدعاية البيضاء ترغم ان الزنجي دون زملائه البيض مقدرةً وبراعةً، وأنه أقلّ منهم إنتاجاً، ومن أجل ذلك فهو غير جدير بأن ينال ما ينالون من أجور مرتفعة نسبياً ... وليس من ريب في ان الشعب الزنجي لا يتمتع بفرصٍ للتربية متكافئة مع تلك التي يتمتع بها البيض . وحتى الثقافة التي يوفق الزنوج الى اكتسابها في بعض الأحيان لا تغني عنهم شيئاً، من هذه الناحية . فالاحصاءات الحكومية تظهر أن الاميركي الابيض الذي درس أربع سنوات أو خمس سنوات في الجامعة يبلغ متوسط دخله السنوي ٢٠٤٦ دولاراً ، في حين أن الاميركي الزنجي الذي أتم مراحل الدراسة نفسها يبلغ متوسط دخله السنوي ١٠٤٧ دولاراً . والمواطنون البيض الذين لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الثانوية لا يكسبون ضعف ما يكسبه الزنوج الذين يساؤونهم ثقافةً فقط، بل يزيد دخلهم بنسبة ٤٠٪ على دخل خريجي الجامعات من الزنوج . ليس هذا فحسب ، بل ان الاميركيين البيض الذين لم يعدوا مرحلة التعليم الابتدائي يكسبون أكثر من الزنوج الجامعيين ، ويبلغ متوسط دخلهم ٧٠٪ أكثر من متوسط دخل امثالهم من الزنوج * . وليس من ريب في ان إثارة البيض على السود في ميدان العمل هو رذيلة في ذاته . ولكنه ليس القصة كلها بحالٍ من الاحوال . فالحق ان العامل الزنجي لا يُعطى أجراً أقل لقاء عملٍ أقل ، بل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P- 46, No. 5, Educational Attainment by Wage or Salary Income : 1940, p. 8, table 5.

لقاء عمل يَعْدِل العمل المطلوب من العامل الابيض أو يزيد عليه من حيث الكم والكيف جميعاً .

صحيح أن الزوج معزولون في أعمال مخصوصة . ولكن هذه الأعمال ليست ، على أية حال ، أسهل الأعمال أو أقلها حاجة إلى البراعة . إن عكس ذلك تماماً هو الصواب . فالعمل الذي يُسند الى الزوجي عادةً هو اكثر الأعمال مشقة ، وأشدّها خطراً ، وأكثرها الى النفس ، وأبغها إيذاءً للصحة . والعمال الذين يؤدون هذه المهام نفسها في الاتحاد السوفياتي إنما يكافأون على أدائهم إياها بأجور أعلى ، وساعاتٍ من العمل أقل ، وعطّل أطول آجالاً . ويلاحظ جنر ميردل Gunnar Myrdal في كتابه « مازق » اميركي « أن واحداً بالمائة من العمال في شعبة الادوات من شركة فورد للسيارات ، حيث الاجور مرتفعة جداً ، هم من الزوج ، في حين ان ٧٤٪ من العمال في قسم الصبّ والسبك من الشركة نفسها ، حيث الاجور منخفضة جداً بالرغم من ان العمل هناك اشق وأخطر وبالرغم من انه يقتضي براعة مئة ، هم من اصحاب البشرة السوداء * .

أما روبرت ويفر فينص في كتاب له عن مشكلة العمل عند الزوج على ان الكثرة الكبيرة من العمال الزوج في الشمال يعملون في مصانع الصبّ ، وغيرها من المصانع الحارة ، الكريهة ، التي تقدّم الى عمالها أجوراً منخفضة نسبياً * * .

* Myrdal, *An American Dilemma*, Vol. II, pp. 1076 ff.
* * Robert C. Weaver, *Negro Labor, a National Problem*, p. 8. N. Y., 1946.

وفي ميسور القاريء ان يكون فكرةً عن الأحوال التي يعمل هؤلاء الزوج في ظلها من تقرير وضعته بعثة بريطانية زارت سنة ١٩٤٩ مصانع سبك الفولاذ في الولايات المتحدة بدعوة من ادارة مشروع مارشال ، لتعليم الاوروبيين «طريقة العيش الاميركية» . فقد وجدت هذه البعثة أن ٥٥ ٪ من الخمسة والسبعين الف عامل هم من الزوج و ١٥ ٪ هم من «العمال الأوروبيين بولونيين وتشيكين وإيطاليين وغيرهم» ، و ٣٠ ٪ هم من «العمال الاميركيين البيض» . أما عن احوال هؤلاء الزوج الذين يؤلفون الغالبية الكبيرة من العمال المنتجين في تلك المصانع ، والذين يقدم كل منهم مجهوداً يزيد ما بين ٥٠ ٪ الى ٩٠ ٪ على ما يقدمه زملاؤه في مصانع الصبّ والسبك البريطانية ، فيقول التقرير إن البعثة وجدت العمال الزوج «منهمكين في عملٍ شاقٍ الى حدّ بالغ ، حاملين بأيديهم مطارق ثقيلة من حديد . » وأن هؤلاء العمال يشتغلون شغلاً متواصلاً « فلا يكاد النهار ينتصف وتعلن الصفارة بدء عطلة الظهر حتى ينطرحوا على وجوههم ، حيث يعملون ، ويستسلموا لسلطان الرقاد . » ويشير التقرير فوق ذلك الى انعدام الوقاية من ترتيب الرئة بسبب استنشاق الرمل والتراب Silicosis و «نضحية السلامة على مذبج السرعة» و«جوّ الأهمال الذي يسود الأبنية جميعاً . » وتعزو البعثة هذه الاحوال كلها الى رغبة أصحاب الاعمال « القساة القلوب » في ان ينتزعوا من عمالهم أعلى قدر ممكن من الانتاج حتى في ايام الكساد . ولكن لماذا يرتضي الزوج القيام بهذه الاعمال التي يعافها معظم العمال البيض ؟ هنا يزعم الزوار

البريطانيون الذين اعتادوا استغلال الشعوب السوداء في إفريقيا، أن الزوج « يجدون لذة كبيرة » في هذا النوع من العمل ، وانهم يشتغلون في ازدهار كامل للنصب والاعباء، وانهم « يألفون » الحرارة المرتفعة ارتفاعاً كبيراً ... *

وفي الزراعة يظهر الاضطهاد الاستعماري الذي يخضع له الزوج في اكثر اشكاله تطرفاً . فعالية الزراع الزوج يعملون على اراض ليست ملكاً لهم ويقدمون ما يزيد على نصف غلاتهم اجوراً للمالكين . واكثر من هؤلاء عدداً اولئك الزوج الذين يستأجرهم اصحاب الاراضي لقاء أجرٍ معلوم ، وهذه الفئة هي التي تعاني من الاستغلال أشده وأقساه . ففي توز سنة ١٩٤٧ كانت متوسط التعويض اليومي المدفوع الى الاجير المزارع في الولايات الغربية الشمالية الوسطى حيث يُستخدم عدد قليل جداً من الزوج ، ٦ دولارات و ٥٢ سنتاً . اما في الولايات الشرقية الجنوبية الوسطى حيث نصف العمال الزراعيين تقريباً من الزوج ، فقد بلغ متوسط ذلك التعويض ٣ دولارات و ٢٤ سنتاً . ليس هذا فحسب ، بل إن متوسط دخل جميع الاسر البيضاء العاملة في المزارع بلغ ٢١٥٦ دولاراً سنة ١٩٤٧ ، في حين بلغ متوسط دخل جميع الاسر الملونة ١٠٢٦ دولاراً - اي ان الفرق بين الدخلين يكاد يبلغ نفس الفرق الذي وجدناه قائماً بين دخل العامل الصناعي الابيض ودخل العامل الصناعي الاسود ، وهو ١١٠٠ دولار ... **

* Anglo-American Council on Productivity, *Steel Founding*, London, 1949.

** *Incomes of Families and Persons in the United States* 1947, p. 16, table 2.

ولكن كم تبلغ الارباح الفاحشة التي يبتزها الاستثمار الاميركي من استغلال الشعب الزنجي استغلالاً إضافياً ؟ إن في ميسورنا أن تقع على جواب تقريبي اذا اعتبرنا فرق الالف ومائة دولار الذي أشرنا اليه ورجحاً إضافياً، ثم ضربنا هذا الرقم بعدد العمال الزوج المنتجين في حقلي الزراعة والصناعة ، وقد بلغ سنة ١٩٤٧ نحو ثلاثة ملايين ونصف ، وعندئذ تكون النتيجة ورجحاً إضافياً إجمالياً يبلغ اربعة مليارات دولار تقريباً .

والواقع ان هذه العملية الاحصائية لا تشمل غير منتجي السلع من العمال الزوج . إنها تستقط من الحساب ، مثلاً ، مئات الألوف من النساء الزنجيات اللواتي يتوكلن بيوتهن ليعملن في منازل المواطنين الأثرياء لقاء عشرة دولارات اسبوعياً ، في الجنوب ، وما بين عشرين الى خمسة وعشرين دولاراً اسبوعياً في الشمال (باستثناء مدينة نيويورك .)

واياً ما كان فإن رقم الاربعة مليارات دولار يمثل تقديراً محافظاً لما يكسبه الاستثماريون الاميركيون من اضطهاد الشعب الزنجي لأنه يهمل مورداً مهماً من موارد الربح الفاحش إهمالاً كلياً . وتفصيل ذلك ان الشعب الزنجي في الولايات المتحدة ، يقتضى اسعاراً أعلى من الاسعار الاحتكارية العادية السائدة في هذه البلاد . ففي الريف الجنوبي يتعين على السكان الزوج ان يدفعوا اسعاراً إضافية في مخازن القرى . . . وفي المدن يعزل الزوج في مناطق مخصوصة من مثل منطقة « هارلم » Harlem في نيويورك ، حيث تباع السلع ، على رغم رداءتها النسبية ، بأسعار أعلى مما تباع في المناطق المجاورة . وانما تتجلى هذه النزعة الى استغلال الزوج ابشع

ما تتجلى ، في اجور المنازل . والواقع ان احقر احياء العمال القدرة slums التي تعرفها مدينة نيويورك ، والتي تملكها اكبر شركات التأمين وشركات الرهون وغيرها إنما تقوم في منطفة « هارلم » الآتف ذكرها . ولكن اجور المنزل هنا اعلى منها في سائر المناطق العالية بنسبة خمسين بالمائة ! ...

اضف الى ذلك ان اى محاولة إحصائية لا تستطيع ان تتسع لآلام البغي نصف العبودي الذي يحيا في ظهه ملاين الزوج الاميركيين . فآسر الحصادين التي تتعاقد على العمل كأسر ، يكره افرادها جميعاً - الشيوخ والنساء والاطفال الصغار ابتداءً من سن الخامسة - عى ان يعملوا في احتول من مطلع الفجر حتى الغروب . ومن طريق الديون العجيبة وست العبودية المقتنعة بأقنعة رفاق يحيا هؤلاء الزوج شبه سجناء أو أسرى يحق لملك المزرعة القاء القبض عليهم اد ما حاولوا مغادرتهم . اما المهاجرون الذين لم تغد الحاجة اليهم ماسةً في المزارع الجنوبية فأنهم يعيشون تحت رحمة ملتزمي الاعمال بالمزارع الشمالية وفي أسرهم وهل ننسى أخيراً ، مئات الالوف من الزوج الذين يُعْتَقَلون كل سنة ، في الجنوب ، بغير ما جريمة اقترفتها ايديهم ، ابتغاء إجبارهم على العمل المسخر . في مزارع السجون وفي الشوارع والطرق بمصلحة شركات الأغذية والملمتزين الذين يحنون ثمرات عملهم غير المناجور !

مظاهر الاضطهاد السياسي

إنَّ في وضع الشعب الزنجي في الولايات المتحدة مصداقاً

لقول كارل ماركس المأثور : « لا يستطيع العمل ان يُعق نفسه في البشرة البيضاء حيث يكون مُسترقاً أو مُستعبداً في البشرة السوداء. » وليس من ريب في أن هذا المبدأ ينطبق على الاستغلال الاستعماري الفاحش للشعوب المستضعفة بشكل عام ولكنه في الحالة الخاصة بالشعب الزنجي ، يقع في قلب الوطن الأم ، ويترك اثره المباشر في وضع العمال البيض انفسهم .

ومهما يكن من امر فأن زعماء نقابات العمال في الولايات المتحدة ، باستثناء قلة صغيرة من التقدميين ، يشجعون اضطهاد العمال الزوج ويعملون على ترسيخ قواعد وتوطيدها . والواقع ان عدداً من نقابات الحرف التي تقتضي براعة خاصة يحظر على الزوج الانتاء اليها تحظيراً صريحاً ، في حين 'تفلق' عدة من النقابات الاخرى ابوابها ، بصورة غير مباشرة ، في وجه الزوج من طريق نظام التدريب والاجازة الذي تفرضه على اعضائها . ليس هذا فحسب ، بل ان النقابات الصناعية القوية لتقصر تقصيراً فاضحاً في حمل اصحاب العمل على منح عمالهم السود حقوقاً متساوية والحقوق التي يمنحونها لعمالهم البيض ، وفي النضال ضد قاعدة «آخر من يُستأجر» ، واول من تصوّب الى صدره النار » التي يطبقها اصحاب العمل ضد الزوج ، وفي الحيلولة دون فرض الأعمال الأكثر مشقة والأقل اجراً على العناصر الزنجية في المحل الأول ، وفي المطالبة بأن يتولى العمال الزوج بعض المناصب في النقابات الخ ...

لقد انتشرت سموم التعصب العرقي في طول البلاد وعرضها وتسربت الى مجاري الحياة الاميركية جميعاً . فاذا بجهاير الشعب

تعود اصطناع تعابير الاستخفاف والاحتقار في معرض الاشارة الى الشعب الزنجي والاقليات القومية الاخرى . والحق ان الطبقات الحاكمة قد حاولت قسمة الأمة الاميركية الواحدة إلى طوائف متباينة على اساس من الأصل القومي . وعلى الرغم من ضروب الدعاية التي تصور الولايات المتحدة وكأنها « بوتقة تلتقي فيها الشعوب » لا يزال رجال السياسة ينون حملاتهم الانتخابية على نداءات خاصة الى « الناخبين الايرلنديين » و « الناخبين البولنديين » ، و « الناخبين اليهود » و « الناخبين الايطاليين » ، و « الناخبين الزنوج » ...

وثمة مضامين أخرى أبعد مدى وأشد خطراً . ذلك ان الجماعة التي لا ترى بأساً في إززال الاذى والاضطهاد بشعب كامل يحيا على ارض الوطن خليقة بأن لا تتحمس للنضال ضد هذه الأساليب نفسها حين تطبق في جنوبي افريقية ، أو آسية ، او اوروبة . والانتصار لسياسة التكتيل بالزنوج في الولايات المتحدة يقود بصورة منطقية الى الانتصار لسياسة التوسع الاستعماري والحرب العدوانية في الخارج ، برغم ما تجره من عواقب وخيمة على الشعب الاميركي ككل ، وعلى عمال الولايات المتحدة بوجه خاص . وهكذا فليس عجيباً أن نرى زعماء نقابات العمال المؤيدين لنظام اضطهاد الزنوج واستغلالهم يؤيدون اصرح التأيد برنامج التوسع الاميركي الاستعماري بومته .

والواقع ان اضطهاد الشعب الزنجي هو عَقِب آخيل * في

* آخيل هو بطل « الالياذة » لهوميروس . وقد أبدى في حصار

الاستعمار الاميركي . ان من المتعذر اخفاءه باشكال الاستقلال كما هي الحال في انصاف المستعمرات ؛ وفي استطاعة كل من يزور الولايات المتحدة ان يراه بأمر العين . إنه يسخر من جميع الادعاءات الدبلوماسية التي تسعى الى اظهار الولايات المتحدة بمظهر الحريص على مصالح الشعوب الملونة في آسيا وافريقية ؛ ويفضح فضحاً بشعاً الدعاية التي تبجح « بمستوى الحياة الاميركية الرفيع » ، هذا المستوى الذي يُعتبر حراماً على خمسة عشر مليوناً من المواطنين الزنوج ...

ولاجتناب هذه الفضيحة يسعى سادة الولايات المتحدة الى اصطناع الزنوج الذين لا يتورعون عن نصرته الاستعمار . ومما تجدر ملاحظته أنهم لا يُسندون الى هؤلاء الزنوج مناصب ذات سلطان حقيقي ، بل يضعونهم في مراكزها شأنها في العلاقات العامة ، وبخاصة مع مواطني البلدان الاخرى . ومن اقرب الشواهد على ذلك تعيين رالف بانث والسيدة أديث سامبسون في منصبتين من مناصب « الامم المتحدة . » ومثل أغراض الدعاية هذه ، يتظاهر الرئيس ترومان بالعطف على قضية الزنوج ويؤيد مشروع حقوق مدنية يهدف الى تحسين احوال الشعب الزنجي . فهو يلوم الكونغرس على عدم اقراره هذا المشروع ، ولكنه لا يحاول النضال من اجل اقراره ، ولا يعيبه قوى حزبه لانجاحه ، ولا يتنكر لاعضاء هذا الحزب طراودة من ضروب البسالة ما جعله مثلاً بضرب في القسوة والرجولة والبأس الشديد ، ولم يسقط في الميدات الا بعد ان اصيب في احد عقبيه بسهم مسموم سدده اليه « باريس » . وهكذا يكون المقصود من « عقب آخيل » هنا « نقطة الضعف » في الاستعمار الاميركي .

[العرب]

الذين يتزعمون حملة الكفاح ضد المشروع . وهو موقف مختلف
جداً من مواقف العزم والصلابة التي يتخذها ترومان والحزبان
الديموقراطي والجمهوري كلما رغبوا في اقرار تشريع يتصل من
قريب او بعيد بالاستعداد للحرب او بالتوسع الخارجي .

٤. النقطة الرابعة والدول غير المتطورة

في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ خاطب الرئيس ترومان جمهوراً من نساء الحزب الديمقراطي فقال :

« نحن مشهورون ، بعض الشيء ، بالمعرفة التقنية ... technical ... وما أبتغي أن أقوم به هو ان أقدم الى شعوب العالم هذه المعرفة وذلك الفن ... لخدمة السكان ومصالحهم لا لاستغلالهم واستثمارهم . وهذا هو المعنى الذي تفيد به النقطة الرابعة .

« ... إني لأقف في مكتبي وألقي نظرة على مصوّر الكرة الارضية الذي قدمه اليّ الجنرال إيزنهاور ... المصورّ نفسه الذي اصطنعه ليكسب الحرب في اوروبا .

« اني لأرى انهاراً واودية ضخمة غير متطورة ... وليس من ريب في ان نهري الفرات ودجلة يمكن ان يحوّلَا من جديد الى جنة عدن . ففي عهد نبوخذ نصر كان ذلك الوادي يُطعم ما بين اثني عشر مليون وخمسة وعشرين مليون نسمة ... وان في استطاعته ان يفعل ذلك كرّة اخرى ... »

وليس هذا اول وعد استعماري وُجّه الى الشعوب المستضعفة ، ولكنه في اغلب الظن اكثرها إسرافاً . فطوال تاريخ الاستعمار

كان الحكام يغطون اغراضهم الاستثمارية بورقةٍ من تينٍ ينسجون اليافها من تظاهرم بالحرص على خير الفئات المستثمرة ومصحتها . والواقع ان الرئيس ماك كينلي McKinley برئاستيلاء الولايات المتحدة على الفيليبينيين بقوله إن هذا الاستيلاء واجب علينا لـ «رفع مستوى» الفيليبينيين و «تدنيهم» و «تنصيرهم» ولكن الشيء الوحيد الذي ارتفع مستواه، بعد الفتح، هو ارباح الشركات التي استبدت بالاقتصاد الفيليبيني وسخرته لمصالحها . . .

وعندما قصد هارفي فايرستون، احد ملوك المطاط الاميركيين، سنة ١٩٢٥، الى ليبيريا احاط رحلته هذه بهالةٍ من الدعاية الصارخة حول الخطط التي رسمها لخدمة تلك البلاد ونقل المدنية الى اهلها . حتى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على هذا الاعلان كانت الحضارة الوحيدة التي حملها فايرستون الى ليبيريا هي مجموعة من القواعد الجوية والبحرية الاميركية ومنجم حديد تملكه شركة الفولاذ الجمهورية . * فلا يزال العمال المستغلون في المزارع يعبأون من افراد القبائل الاهلية بطريقة العمل الازلامي الافريقية المألوفة . ولا يزال الاميركيون يدفعون الى كلٍ منهم ثمانية عشر سنتاً اجراً يومياً . وقد اطلقوا عليهم الرصاص ، سنة ١٩٥٠ ، عندما اضرىوا مطالبين بزيادةٍ في اجورهم لا تعدو ثلاثة سنوات يومياً !!

وفي العقد الرابع من القرن الحالي وضع صمن ويلز ، خبير الرئيس روزفلت في شؤون اميركة اللاتينية «سياسة الجار الصالح» Good Neighbor Policy التي افترض ان تمثل اطراحاً

* احدى الشركات الاميركية الكبرى ، وقد مر ذكرها . [المغرب]

لـ « دبلوماسية الدولار » وأخذاً بسياسة جديدة تقوم على إسداء « المعونة غير الانائية » الى دول اميركة اللاتينية ابتغاء تطوير اقتصادها وتعزيزه . فلما كانت سنة ١٩٣٩ كتب المراسل الديبلوماسي بليز بولز يقول : « الحق ان السياسة الاميركية تسعى ابدأ الى بسط سلطانها على اميركة اللاتينية كلها... بقي على صمنر ويلز ان يبدع اسلوباً يخدع الناس عن حقيقة السياسة الاميركية ويظهرها بمظهر البراءة والتجرد الخالصين ، في نصف الكرة الغربي... » *

والواقع ان كثيراً من ملامح النقطة الرابعة الحقيقية يمكن ان تُرى من خلال تصريحات عرابيها والمدافعين عنها . ففي ٣٠ آذار سنة ١٩٥٠ بسط ناظر الخارجية دين اتشيسون ، امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، الاسباب الموجبة لبرنامج النقطة الرابعة . فقال إن ثاني السكان في البلدان المتخلفة اقتصادياً لن يرتضوا الفقر والمرض اسلوباً فهم في الحياة ، بعد اليوم ، واهاب بالراسمالية ان تقدم حلاً لهذه المعضلة وإلا وجه هؤلاء السكان وجوههم شطر الشيوعية . وليس من ريب في ان مخاوف اتشيسون في محنها لأن تلك الشعوب قد رأت الى النجاح البالغ الذي اقترنت به الطريقة الشيوعية في آسية الوسطى السوفياتية التي كانت في يوم من الأيام مستعمرات قيصرية معدمة فأخذت اليوم بأسباب الرقي وصنعت تصنعاً زاهراً وغدت تشارك على قدم المساواة في انشاء الحياة بالاتحاد السوفياتي .

* Blair Bolles, «Sumner Welles, a Close-up Portrait», in *Scribner's Commentator*, Dec., 1939.

فهل يقدم إنشيسون بديلاً عملياً يستطيع ان يضاھي البرنامج
الأشتركي الذي اثبتت الايام نجاحه ؟ انه حين ينتهي الى الكلام
التفصيلي جديره بأن يخيب آمال ايما إنسان يتوقع العون من
واشنطن في التطور الاقتصادي فهو يقول : « احسب ان هناك
فكرة شائعة تذهب الى اننا سوف نشيء مصانع كبيرة ومنجم
لتلك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فانا اعلن ههنا ان ذلك غير
صحيح ... »

واذا كانت هذه الفكرة شائعة شيوخاً كبيراً فلأن رجال
حكومة واشنطن ظلوا طوال عام بكامله يروجون للاسطورة
القائلة بأن الولايات المتحدة تازمة على ان تنهض بعبء برنامج
تطويري اصيل . ثم ما الذي يبتى من هذا البرنامج إذا استبعدت
المساعدة الجدية في ميدان التصنيع ؟ ...

كل ما يبتى هو « مساعدة » الفنانين الاميركيين . وقد اسهب
انشيسون في عرض الامثلة على ذلك ، فنص على ان خير اميركياً
اوصى احد المزارعين باستعمال سماد نيترات الصوديوم ، فعمل
المزارع بنصيحة الحبير فبلغ إنتاجه من الحنطة ثلاثة اضعاف إنتاجه
السابق ... ولكن اي نفع في مثل هذه النصيحة للكثرة الفائرة
من الفلاحين الفقراء الذين لا قبل لهم بشراء الأسمدة التجارية ،
والذين لا يملكون ارضاً ما ولكنهم يكسحون عمرهم من اجل
رفاهية الامراء الأقضاءيين والشركات الاستعمارية ؟ فواضح إذن
ان البرنامج اللاستعماري الحقيقي - الأرض لاولئك الذين
يحرثونها - خليق بان يكون اكثر استهواءً للفلاحين في البلدان

غير المتطورة ، ومن هنا كان هو البرنامج العملي الأوحـد .
ومثل آخر من اتشيسون : « في استطاعتنا ، مثلاً ، أن
نساعد شعوب تلك البلدان في أمورٍ من مثل تعداد السكان
بالأساليب الحديثة ووضع الإحصائيات الحيوية . وليس من حاجة
إلى رأس المال الموظف من أجل القيام بهذا كله . »

أجل ، فهذه « المساعدة الفنية » « رخيصة » جداً . « وليس
من الضروري أن يكون الخبراء ثقاتٍ من الطراز الأول في
فروع اختصاصهم . ولا ريب في أن هذا العمل يجب أن يستهوي
الشبان الأميركيين الذي يتمتعون ببعض الكفاءة والخبرة .
وأحسب أن في استطاعتنا أن نقع على مئات من الرجال الصالحين
في الدوائر الحكومية والبلدية ، وفي المدارس والجامعات ، وفي
المزارع والمصانع ومنظمات البحث الخاصة . والمشكلة الآن
تتلخص في البحث عن هؤلاء الرجال ، وإخضاعهم لتدريب إضافي
بسيط ، ثم إقناعهم بالسفر إلى الخارج في خدمة أمتهم وبلادهم . »
يبضع مئات من الشباب الطالـع يعترض اتشيسون أن يسدّ
حاجات ثلثي سكان العالم ، وأن يتفاد اندفاعهم نحو التحرر
الوطني ! وينبه ناظر الخارجية مستمعيه إلى أن برنامجه « قد يحتاج
— إلا في أحوال قليلة — إلى خمس سنوات أو عشر سنوات أو
أكثر من ذلك أيضاً لكي يؤتي ثماره البانعة . حسناً ، إن عشرًا
من السنوات لا تعدو أن تكون دقيقةً في حياة الأمة ، وأقل
من ثمانية في حياة الحضارة . »

« الواقع أن خمس سنوات أو عشرًا تعني حياةً أو موتاً ،

شبعاً أو جوعاً ، صحةً أو مرضاً ، سلماً أو حرباً ، بالنسبة الى
مئات الملايين من البشر ...

إن الناس لا يستطيعون الانتظار . وإنهم لن يأخذوا بفلسفة
اتشيسون في « الدقائق » و « الثواني » . ولا خلاف في ان قيمة
برنامج الدعاية محل شكٍ وارتيب . فعلام هذه الضجة كلها ؟ وما
هي الحقيقة وراء هذه الوعود الفارغة ؟

واليك هذا المثل الذي يحور لك كيف تعمل « مساعدة
الفنية » في الواقع . قال اتشيسون :

« لقد دعت الحكومة البرازيلية ايضاً ثلاثة جيولوجيين
اميركيين رسميين لمساعدة خبراء في البحث عن مصادر جديدة
للمواد الاستراتيجية . وقد نتج عن هذه المساعدة المتواضعة اكتشاف
منجمين من اضخم مناجم المنغنيز في نصف الكرة الغربي ، منجمين
لا يُقوّمان بآلٍ مهما عَظُم . »

ولكن مستر اتشيسون يحجم ، في تواضع ، عن الاشارة الى
هذه الحقيقة : أن « المنجمين الذين لا يقوّمان بآلٍ مهما عَظُم » إنما
تتدفق خيراتهم على « شركة بيت لحم للفولاذ » Bethlehem
Steel Co. لا على الشعب البرازيلي . ومن هنا نرى ان برنامج
المساعدة الفنية لا يعدو ان يكون ، في جوهره ، تصيداً مكثفاً
للمواد الاولية تقوم به الحكومة الاميركية لمصلحة الشركات
الاحتكارية في وول ستريت ...

بيد ان إسداء المساعدة الفنية الى البلدان غير المتطورة ليس غير
الجزء الاصغر من برنامج النقطة الرابعة . قال اتشيسون : « وعلى

اية حال ، فنحن نضع تركيزاً شديداً على استشارة المؤسسات الخاصة للمشاركة في هذه المشروعات لا من طريق تقديم الرساميل فحسب ، بل طريق تقديم البراعات التقنية technical والادارية التي تأتي مع الرساميل ايضاً . »

وتلك هي القصة القديمة التي تتحدث عن تقديم المساعدة الحكومية لتصدير الرساميل من قبل الشركات الاحتكارية ، والتي تهدف آخر الأمر الى إبقاء الدول المستضعفة على حالها من التأخر والفقر . ولكن كيف تقدم هذه المساعدة الحكومية ؟ عن هذا السؤال يجيب اتشيسون :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير ما تعويض عادل ، وان في ميورهم ان يخرجوا ارباحهم المشروعة ورأس ماله من البلاد ، وان تكون لهم حرية معتولة في إدارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي . ذلك ، بكلمة موجزة ، هو جوهر مشكلة توظيف الرساميل ، وإنها كما ترون مشكلة ثقة »

ثقة بأن شيئاً لن يحول دون الشركات الاحتكارية الكبرى واقتناص الارباح الفاحشة وإخراجها ؛ ثقة بأن حركة التحرر الوطني لن تنهض يوماً لمطالبة بثروات البلاد القومية ؛ ثقة بأن الشركات الاحتكارية ستكون قادرة على ان تعمل كما يحلو لها في البلدان الأجنبية ...

ذلك هو الهدف الحقيقي الذي يرمي اليه مشروع النقطة الرابعة . وعلى ضوء هذا الهدف اتخذت التدابير العملية لأنجح المشروع .

وهذه التدابير تشمل « أ » عقد معاهدات مع البلدان الاجنبية من اجل اطلاق يد الاحتكارات الاميركية في العمل ؛ « ب » سن الحكومة الاميركية تشريعات تضمن ارباح هذه الشركات واموالها الموظفة ؛ « ج » وضع تشريعات خاصة تخفض الضرائب على الارباح التي تجنيها الشركات من مشروعات الخارجية . وحتى هذا كله ليس كافياً :

« ولكن حين تجمعون هذه الاشياء كلها فلا ريب في انكم ستجدون ان ليس ثمة طريقة لا يتطرق اليها الوهن لضمان حقوق المسهين في هذه المشروعات وصيانتهم من مختلف المخاطر التي تواجهها في اجزاء كثيرة من العالم اليوم . »

وهكذا يؤكد اتشيسون انه يتعين علينا ان نسعى الى ايجاد « المناخ الملائم » لتوظيف الرساميل . ولكن ماهو « المناخ الملائم » ؟ إنه شعب مستكين مذعور يخاف ان يقاتل من اجل مصالحة الحصة . إنه يقتضي سحق حركة التحرر والقضاء على الاشتراكية حيث وجدت . ويكشف ناظر الخارجية السر عن حقيقة الاهداف التي تقصد اليها الولايات المتحدة من تصدير الرساميل الاميركية في قوله :

« نحن نفق المليارات على الدفاع العسكري ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن نفق مليارات اخرى على تدعيم الحياة الاقتصادية في اوروبة ومناطق حيوية في الشرق الأقصى ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن ننظم ضروب الدفاع المشترك من طريق معاهدة شمالي الأطلسي وبرنامج المساعدة العسكرية . »

ومن هنا نرى ان مقتضيات الاستغلال الاستعماري المكثف

لا تزال هي هي : تسلط العصا على جنوب المستعمرين . والواقع ان برنامج النقطة الرابعة بكامله يبدو من خلال تصريحات اتشيون مجرد حجاب من حجب الدعاية يشن رأس المال الاميركي من ورائه هجومه العالمي في ميادين السياسة والاقتصاد والحرب . فاذا جئنا الى البلدان المستضعفة وجدنا ان وعود ترومان للشعوب المتخلفة في مضمار الرقي قد تقصت الى بضعة خبراء من الدرجة الثانية في حين ضرب صفحاً عن التطوير الاقتصادي الفعلي بالكلية .

ولكن وضع برنامج على الورق لا يترافق الارباح الفاحشة من طريق الاستغلال الاستعماري المكثف ومن اجل الحرب المبنية على ذلك الاستغلال شيء ، وتحقيق ذلك البرنامج شيء آخر . وتوقيع رجل الدولة السائر في ركاب الاستعمار على وثيقة يبيع بها بلاده شيء ، وتسليم تلك البلاد الى المستعمرين شيء آخر . فقد كانت حكومة الكومنتاغ في الصين من اواخر حكومات التي وقعت على معاهدة من طراز معاهدات النقطة الرابعة التي تقضي الى النخلي عن السيادة الوطنية الاقتصادية بكاملها للشركات الاحتكارية الاميركية . ولكن الشيوعيين الصينيين سارعوا الى تمزيق تلك المعاهدة ، وأسقطوا حكومة الكومنتاغ ، فذهبت آمال دول ستريت ادراج الرياح .

إن حكام البلدان المتخلفة اقتصادياً ليرحبون اليوم ببرامج النقطة الرابعة ، ولكنهم يخشون جميعاً ان يصيروا بسبب ذلك الى ما صار اليه شيانغ كاي تشيك . ورأس المال الاميركي

يشار إليهم بخاوفهم هذه ، ولكنه لا يستطيع أن يجد حلاً .
وليس ثمة مخرج سهل من هذا المأزق . فبسبب من الاتجاه
الشعبي العالمي العنيف نحو الحياة الكريمة والاستقلال الوطني
الصحيح صار يتحتم على المشاريع الهادفة الى استبعاد الشعوب أن
ترتدي لباس الوعود الكاذبة . ولكن إغداق الوعود ثم إخلافها
يؤجج من نار المقاومة الشعبية ويعطل جو الانقياد والتراخي في
الوطنية الذي ينمو فيه رأس المال الاستعماري ويزدهر .
وعندما يجد الجد يُخلى الدجل السياسي مكانه للقوة المسلحة .
ذلك ان المؤتمرات والبرامج الاقتصادية تؤدي آخر الأمر الى
المخالفات العسكرية ، وموathق مكافحة الشيوعية ، والغزو المسلح
من جانب الاستعمار الأميركي ، كالذي حصل في كوريا .
ولكن النضال العالمي في سبيل حياة افضل قوي الى ابعد
الحدود ، فليس في ميسور الدجل السياسي او القوة المسلحة ان
يصدّ تياره العارم . والذي لا ريب فيه ان شعوب العالم سوف
تكسب الحق في التطور الاقتصادي من طريق النضال ضد الاستعمار
و ضد عملائه الوطنيين .

٥ . استراتيجية السيطرة على العالم

في الحرب العالمية الثانية أيد شعب الولايات المتحدة النضال ضد المحور لينقذ نفسه وشعوب البلدان الاخرى من الخراب على يد الفاشستين الألمان والعسكريين اليابانيين . وقد اكد رجاله الرسميون دوافعنا غير الأذنية وزهدنا في ممتلكات الشعوب الاخرى وأراضيها . وهي دعوى صحيحة اذا كان في الكلام اشارة اليأنحنأ شعب الولايات المتحدة . فأكثرة الغامرة من الشعب الاميركي لا تستسيغ الفتوح الخارجية ولم تكن كذلك في يوم من الايام . أما اذا كانت الاشارة الى الأسر الحاكمة التي تسيطر على شركات النفط والاعدن وعلى مصرف وول ستريت ، فليس من ريب في ان هذه الدعوى كاذبة مدئة بمذمة . فقد سعى هؤلاء جميعاً ، طوال الحرب العالمية الثانية ، في سبيل الربح الخيالي سعياً غلباً حيثناً واندفعوا للاستيلاء ، بواسطة الحرب ، على الممتلكات الاجنبية وعلى مناطق النفوذ في مختلف بلدان العالم . واذ كانت كلمتهم هي العليا في دوائر الدولة المركزية الاكثر حيوية فقد عملت الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلت ، على إشباع شهوات الشركات الاحتكارية الاميركية وسد مطالبها التي

تجاوزت اليوم جميع الحدود والسدود .

فمنذ مطلع الحرب التي شنتها الاستعماران الألماني والياباني أدرك اصحاب الرساميل الاميركية انهم سيكونون هم كاسبها الرئيسيين . ومن تلك اللحظة تحقّر أولئك الرجل الذي يسروا للمعتدين شن الحرب بما نقلوه اليهم من مقادير ضخمة من النفط ، والآلات ، وانواع المعادن ، وبقانون الجهاد الذي اقره الكونغرس سنة ١٩٣٧ ، وأتلعوا اعناقهم ...

لقد رأوا بثاقب نظرهم ان هذه الحرب ستكون حرباً طويلة الأجل ، كالحرب العالمية الأولى ، وان في ميسورهم ان يجنوا من ورائها مكاسب هائلة وينتزعوا مناطق يرمتها بمائدته الدول الاستعمارية الاخرى ، وبريطانية منها بخاصة ، بوصفها صاحبة اكبر امبوطورية على ظهر هذا الكوكب .

واكتسح النازيون بلدان اوروبا الغربية ، وهددوا من قاعدتهم الصناعية المتسعة انكسرة بالغزو . فاذا لاستعمار البريطاني في حاجة ماسة الى تأييد مادي كبير من الولايات المتحدة ثم الى تأييد عسكري ايضاً ، لكي يبقى على قيد الحياة .

وفرض امراء وول ستريت شروطهم . وقد رسمت خطوطها الكبرى في خطاب شهير القاه فيرجيل جوردان رئيس مجلس المؤتمر الصناعي الوطني قال :

« مهما كانت النتيجة التي ستؤول اليها الحرب فقد اندفعت الولايات المتحدة في اتجاه استعماري في الشؤون العالمية وفي كل مظهر من مظاهر حياتها ... وفي احسن الاحوال ، ستصبح

انكلاوة شريكاً ثانوياً في استثمار انكوسكسوني جديد تكون فيه موارد الولايات المتحدة الاقتصادية وقوتها العسكرية والبحرية مركز الثقل ، *

لقد تكتشف الرئيس فرانكلين روزفلت عن عواطف مناوئة للفاشية ، وسعى ان يحسن احوال الشعوب المستعبدة ، والى ان يقيم علاقات ودية وصداقة مع الاتحاد السوفياتي . ولكنه لم يكن هو صاحب الكلمة العليا . ذلك ان روزفلت ما كان رئيساً لحكومة شعبية صحيحة ولكن رئيساً لجهاز حكومي تسيطر بهوات وول ستريت على مفتاحه العسكرية والديبلوماسية والسياسية جميعاً . لقد كان روزفلت قائداً لهذه القوى ، قائداً حكيماً ومعندلاً ، ولكنه خاضع ابداً لسلطان الطبقة الحاكمة . كان روزفلت قائداً اعلى للقوات الاميركية ولكن توجيهه الحرب كان وفقاً لستراتيجية الاستثمار الاميركي التوسعية الأساسية . وطالب روزفلت بـستراتيجية عسكرية تستطيع ان تهزم هتلر باسرع وقت مستطاع ، ولكن قادة الاستثمار الاميركي تعاونوا مع قادة الاستثمار البريطاني على انفاذ استراتيجية عسكرية 'قصد بها الى استنزاف قوى الاتحاد السوفياتي ، واحتلال القوات الاميركية البريطانية معظم المناطق الستراتيجية . وشجب روزفلت سياسة ابتزاز الثروات من المستعمرات وتحدث عن « سياسة الجار الصالح » في اميركة اللاتينية ، ولكن رجال وول ستريت -

* Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 18, 1940.

صمو ويلز ، ونلسون روكفلر ، وجس جونز - وجهوا الحرب بطريقة خليقة بان تقوي برائن ذلك الابتزاز وتزيد في افسار اميركة اللاتينية .

وما دامت الولايات المتحدة خاضعة لسلطان رأس المال المالي فيتعين عليها ان تسلك سبيل التوسع الاستعماري ، وتكيف ستراتيجيتها المباشرة وفقاً للاحوال الخاصة المؤثرة في الاستثمار الاميركي والاستعمار العالمي في وقت بعينه . وقد فسر فيرجيل جوردان ذلك في ما يلي :

« إننا قد نحس لفظة الاستثمار البغيضة ، غير المألوفة وكثير منا يؤثرون أن يخفوها ، على الطريقة الاميركية الشائعة ، وراء حجاب من عبارة غامضة مثل « الدفاع عن نصف الكرة الغربي » . ولكن اميركة مقدّر لها ان تسلك هذه السبيل ، شعورياً او لا شعورياً ، بحكم مزاجها وقواها ومواردها وبدافع من الاحداث العالمية ، لا في السنوات الاخيرة فحسب ، بل منذ مطلع القرن ... هذه الاحداث قد دفعتنا في هذه السبيل ولم تمنحنا الفرصة لاقامة استثمار حديث ، فحسب ، بل زودتنا بالادوات الاقتصادية والاتجاهات الاجتماعية ، ثم بالاعداد والسجاي السياسية المساعدة على ذلك وليس لنا ، في الحقي ، مندوحة عن السير في الطريق التي سلكناها خلال ربع القرن الأخير ، وفي الاتجاه الذي اتخذناه في فتح كوكبا والفيلبيين ، وفي مشاركتنا في الحرب العالمية الأخيرة . » *

* المصدر السابق نفسه .

نوع الاستعمار الامبريكي زمن الحرب

كانت اهداف وول ستريت الرئيسية العاجلة خلال الحرب العالمية الثانية إقصاء جميع المنافسين الاستعماريين من نصف الكرة الغربي وفرض السيطرة الاميركية المطلقة على المحيط الهادئ ، وعلى جزء كبير من الشرق الاقصى . *

ولقد تحققت أهداف وول ستريت في نصف الكرة الغربي تحقّقاً كاملاً . فمنذ اللحظات الاولى من الحرب اقصى الاستعمار الالمانى عن المسرح وكان قد خطا خطوات واسعة في اميركة اللاتينية ، وبخاصة في الارجنتين والبرازيل . وصدرت حكومات اميركة اللاتينية الرساميل الالمانية الموظفة هناك ، والبالغة نحو مليار دولار ، نزولاً عند اوامر الولايات المتحدة . كذلك صادرت الحكومات الاميركية الجنوبية الممتلكات الايطالية واليابانية ، ولم تكن على مثل هذه الضخمة . ولم يمض غير طويل حتى اعيد تنظيم كبرى هذه المؤسسات تحت سيطرة وول ستريت المالية . ومن اهم هذه المؤسسات شركات الطيران من مثل شركة خطوط كوندور الانسانية وشركة خطوط لاني الايطالية في البرازيل ، وشركة خطوط سكادتا في كولومبيا . وقد كان لهذه الخطوة ، في قارة تعتمد اعظم الاعتماد على المواصلات الجوية ، اثر بعيد جداً في إحكام

* وقد عبر جوردان عن هذه الاهداف بالكلمات التالية : « حيوياً في نصف الكرة الغربي ، وعرباً في المحيط الهادئ ، يتخذ ركب الاستعمار سبيلاً ؛ وبلغه القوة الاقتصادية الحديثة والاعتبار prestige السياسي يقتل الصولجان اليوم الى الولايات المتحدة . »

قبضة الاستعمار الاميركي الشهي على خناق اميركة الجنوبية .
وانتهى الحليف الضعيف ، الاستعمار الفرنسي ، الى مصير مشابه ،
فقد تقلصت الرساميل الفرنسية الموظفة في اميركة اللاتينية ،
وبالغلة ١٦٠٠ مليون دولار سنة ١٩١٣ ، تقلصاً كبيراً بعد الحرب
العالمية الاولى ، ولم يبق منها غير ١٠٠ مليون دولار بعد الحرب
العالمية الثانية .

اما الضربة الرئيسية فقد وُجّهت ، في نصف الكرة الغربي ، الى
خصم وول ستريت التاريخي ، وحليفه زمن الحرب ، أعني الاستعمار
البريطاني .

فمقابل عددٍ معين من المدمرات أكره البريطانيون على التخلي
عن قواعدهم العسكرية الرئيسية في بحر الكاريبي والسواحل
الكندية . ومقابل مقادير بعينها من الاسلحة اضطروا الى الانسحاب
من كثير من المؤسسات التي كانت لهم فيها اموال موظفة في
الولايات المتحدة واميركة اللاتينية وكندا . ولم ينطو ذلك دائماً ،
في اميركة اللاتينية ، على تحويل الملكية تحويلاً مباشراً الى رأسمالي
الولايات المتحدة . ولكن حتى في الاحوال التي بيعت فيها الاسهم
البريصادية لاحدى حكومات اميركة اللاتينية ظل المجال متسعاً
امام رساميل وول ستريت لتعمل وتستغل .

ففي كندا كانت الرساميل البريطانية الموظفة تبلغ سنة ١٩٣٩
مليارين ونصف مليار دولار فاذا بها تصبح سنة ١٩٤٧ ملياراً
وسمائه مليون دولار ، بينما كانت رساميل الولايات المتحدة الموظفة
هناك تبلغ اربعة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٣٩ فاذا بها

تصبح خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٧ * . وفي اميركة اللاتينية انحدرت الرساميل البريطانية الموظفة من اربعة مليارات ونصف مليار دولار سنة ١٩٣٩ الى مليارين وستائنة مليون دولار سنة ١٩٤٩ ، بينما زادت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك من ثلاثة مليارات وسبعائة مليون دولار سنة ١٩٤١ الى خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٨ ** .

حتى اذا وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت تعريفات المعاملة الفضلى هي كل ما تبقى من الصلات الخاصة التي كانت تربط انكلترة و كندا . ذلك ان سياسة كندا الاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية اُمتست خاضعة خضوعاً كاملاً للولايات المتحدة . وفي معاملاتها مع كندا انتهت بريطانية اليوم الى ان تواجه بلداً جديداً من بلدان « الدولار » . ليس هذا فحسب بل لقد اصبحت كندا ساحة تدريب لقوات الولايات المتحدة ، وانتقلت ثرواتها النفطية والحديدية المكتشفة حديثاً الى الشركات الاحتكارية الاميركية ، انتقالاً آلياً .

وفي اميركة اللاتينية تقلصت الرساميل البريطانية تقلصاً أبعد ، عقب الحرب العالمية الثانية ، بسبب من إقدام الحكومات الموالية لواشنطن على شراء الممتلكات البريطانية . فخلا الجو للاستعمار الاميركي ولم يبق له منافس في تلك الديار ، وبخاصة في البرازيل اكبر بلدان اميركة اللاتينية . ولم تحتفظ الولايات المتحدة بشبكة

* *Balance of Payments Yearbook, 1938, 1946, 1947, p. 101.*

** *Wythe in Foreign Commerce Weekly, Apr. 11, 1949, p. 42.*

البعثات والقواعد العسكرية التي اقامتها هناك ، اثناء الحرب ،
فحسب بل وسّعت من نطاقها وقوّت من فعاليتها ايضاً ؛ ثم كان
برنامج توحيد الاسلحة ففضى على البقية الباقية من عناصر الاستقلال
في تلك البلدان .

وهكذا شهد علم ما بعد الحرب هذه القارة بكاملها تستجيب
لضربات السوط المتلاحقة في واشنطن . ومن باتاغونيا * الى
بافن لاند هـ ، دان نصف الكرة بالطاعة والولاء لأمره وول
ستريت .

وحسبنا هذا القدر من الكلام على توسع الولايات المتحدة
جنوبي نصف الكرة . فما الذي يمكن ان يقال عن التوسع في
اتجاه الغرب ، في المحيط الهادي ؟

لقد أمنت الاحتكارات الاميركية الى رغبتها في ان تترك
الامبراطوريت الأوروبية في الشرق الأقصى حتى قبل ان
تنغمس الولايات المتحدة نفهاساً فعالاً في الحرب العالمية الثانية ..
والواقع ان النقطة الحرجة التي وقفت عندها المفاوضات الاميركية
اليابانية - النقطة التي فالت واشنطن عندها : الى هنا فحسب -
كانت الهند الصينية الخاضعة لفرنسيين ! فعندما أعلنت نظارة
الخارجية الاميركية الدبلوماسية اليابانيين ان غزو الهند الصينية
سوف 'يعتبر عملاً عدائياً ادرك الاستعماريون اليابانيون ، الراغبون
هم انفسهم في ابتلاع الشرق الأقصى برمته ، ان الحرب لا بد

* افليم في لارجنين في أقصى الجنوب من اميركة اللاتينية . [المغرب]

[المغرب]

*** في شمالي اميركة ، غربي غرينلندة .

واقعة ، وشنوا هجومهم على قوات الولايات المتحدة العسكرية .
وفي خلال سنوات الحرب احتلت الولايات المتحدة جميع
الجزر الاستراتيجية المهمة في المحيط الهادي ، واحتفظت بسلطانها
عليها في ما بعد . وأخذت الفلبين للاستعمار الاميركي نزلة
اخرى واتخذت نقطة انطلاق لفتوح جديد .

وعلى الرغم من ان الرساميل البريطانية الموظفة في الصين كانت
تبغ أضعاف الرساميل الاميركية الموظفة فيها فقد استبعدت
القوات البريطانية استبعاداً كاملاً من جميع العمليات الحربية في
الصين ، وبعد الحرب حولت تلك البلاد - مؤقتاً - الى مستعمرة
اميركية على رأسها شيانغ كاي شك .

أما في اليابان فإن الاحتلال الاميركي لم يوجه ضد الانحداد
السوفياني والشعب الياباني فحسب بل ضد مصالح بريطانية التجارية
والمالية ايضاً . فقد استولت الاحتكارات الاميركية على جميع
مراكز التجارة وتوظيف الرساميل المهمة ضاربة بالاحتجاجات
البريطانية عرض الحائط . واشي بين البيونات المالية اليابانية
وبين وول ستريت تحالف جديد خليق " بان يجعل اليابان مستعمرة
ذلولاً للولايات المتحدة لولا بقظة الشعب الياباني الذي لا بد ان
يقول آخر الأمر كلمته الجريئة الحاسمة .

وبفضل سيطرة الولايات المتحدة على المحيط الهادي ،
والفلبين ، والصين ، واليابان استطاع الاستعمار الاميركي ان يسط
سلطانه المباشر المطلق على اكثر من نصف سكان الشرق الأقصى
وعلى القواعد التي تمكنه من فرض سيطرته على سائرهم .

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها حتى صار في
ميسور احد اعضاء الكونغرس الأمريكي ان يزعم ان المحيط
الهاديء « هو محيط بلا جدال . » * وهكذا تحققت اهداف
جوردان في نصف الكرة الغربي وفي المحيط الهاديء جميعاً .

تلك كانت المناطق الرئيسية التي تم فيها التوسع الاميركي زمن
الحرب . ولكن الاستعمار الاميركي وُفق الى انتصارات اخرى
ايضاً ، فاذا بسيطرته على المحيط الاطلسي وعلى الجزائر الواقعة فيه
لا تقلّ عن سيطرته على المحيط الهاديء قوةً وشمولاً ، وإذا به
يهيمن على سلسلة من القواعد العسكرية في غربي افريقية وشماليها ،
ويمكّن لسلطانه العسكري والاقتصادي في الشرق الأوسط من
طريق النفط السعودي والحيولة دون وقوعه بأيدي البريطانيين .
ليس هذا فحسب بل لقد اشترى ، هو والاستعمار البريطاني ،
السياسيين والقواد العسكريين المنفيين الذين اعيدوا الى مراكز
القوة والسلطان في معظم بلدان اوروبة الغربية وفي ايطالية
واليونان .

وهكذا تم إضعاف الاستعمار البريطاني ، وإحالة الى تبّع
للاستعمار الاميركي ، على احسن وجهٍ كان يحلم به وول ستريت !

الاستعمار الاميركي يطعم في نومع غير محدود

ولم تكد الاهداف التي عبّر عنها جوردان تتحقق حتى غدت
'مبانة' obsolete ففي خلال الحرب العالمية افسحت هذه الاهداف

* Ed. V. Izac, quoted in *Washington Post*, Dec. 2, 1946

« المتواضعة » المجال لهدف أبعد : هو السياسة غير المحدودة على العالم . ولم يكن هذا الهدف نفسه غرضاً مطلقاً طويل الأجل ؛ لقد كان الغاية الاستراتيجية للفترة التي ستعقب الحرب العالمية الثانية مباشرة . وكان الأساس الاقتصادي لهذه الاستراتيجية نمو الطاقة الانتاجية الأميركية زمن الحرب ، وضغط الأرباح الاحتكارية التوسعي الذي اشرنا اليه في فصل سابق . أما الأساس العسكري لهذه الاستراتيجية فكان نمو سلاح القاذفات الثقيلة في اسطولنا الجوي نمواً مسرعاً غير متوازن ، ونخلق شبكة عالمية من القواعد العسكرية لتلك القاذفات ، وبخاصة ظهور القنبلة الذرية بوصفها أفعال الاسلحة التي ابتدعها الانسان ، حتى الآن ، في الاعتداء على جماهير الناس .

والسبيل الفعال لنجاح هذه الاستراتيجية تحقيق السيادة الاقتصادية والعسكرية على العالم الرأسمالي بومته ، وتعبئة جميع القوى الرجعية في كل مكان تحت قيادة رأس المال الاميركي ، وانخراطاً في الحرب على الاتحاد السوفياتي .

وقد نادت بمثل هذه الاستراتيجية وعممت من قبلها اكثر الدوائر المالية والعسكرية رجعية وتعباً خلال السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فم تطل سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ حتى كانت هذه القواعد تؤلف الاستراتيجية السائدة المتمتعة بتأييد العنصر الفعالة في دنيا المال .

وكانت الدلالات الديبلوماسية على هذه الاستراتيجية هي :
« أ » الدور الرئيسي الذي مثله الاستعمار الاميركي منذ سنة ١٩٤٥

في محاولة اقامة حكومة رجعية مناوئة للاتحاد السوفياتي في بولنده وهي الطريق التاريخي لغزو روسيا . « ب » سعي الولايات المتحدة لضم الارجنتين الى منظمة الامم المتحدة ، في ربيع سنة ١٩٤٥ ، خارقةً بذلك المبادئ اللافاشستية التي تجسدت في مفاوضات دومبارتن أو كس تمهيداً لتشكيل منظمة للامم المتحدة .

أما دلالاتها الاقتصادية فكانت : « أ » قطع مساعدة « الأعاره والأيجار » عن الاتحاد السوفياتي بعد هزيمة اليابان مباشرة . « ب » رفض إسداء أيما معونة اقتصادية لإعادة تعمير الاتحاد السوفياتي . « ج » خرق الاتفاق القاضي بنقل التعويضات بطريق البحر من المانية الغربية الى الاتحاد السوفياتي .

وأما الدلالات العسكرية فتجلى في « أ » إرجاء فتح الجبهة الثانية حتى سنة ١٩٤٤ رجاء ان يؤدي ذلك الى إضعاف الاتحاد السوفياتي وإثباته . و « ب » إلقاء القنابل الذرية على اليابان ، وهي بادرة لم يكن لها أي ضرورة عسكرية بالنسبة الى تلك البلاد ، وإنما فُعل بها الى التهويل على الاتحاد السوفياتي ، على ما يفهم من كلام قاله الرئيس ترومان في بوتسدام اثناء مباحثاته مع الزعماء السوفيات : « إذا انفجرت هذه القنبلة كما أرجو ان تنفجر فستصبح في يدي مطرقة أحطم بها رؤوس هؤلاء الصبية » ... *

وقد جاءت جميع التطورات التي تمت منذ ذلك الحين وفق هذه الاستراتيجية . وانه ليتعين على المرء ان 'يلم' بها لكي يفهم

* Jonathan Daniels, *The Man of Independence*, p. 266, N. Y., 1950.

تفصيلات السياسة - مشروع مارشال ، الحلف الاطلسي ، الحرب ضد كوريا الخ ... فل هذه جميعاً مكانها في استراتيجية السيطرة على العالم ، ول هذه جميعاً مكانها في الاستعداد للمرحلة النهائية من الخطة ، اعني الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، والجمهوريات الشعبية في شرقي اوروبه ، والصين .

والحق ان هذه الاستراتيجية لم تقدم يوماً الى الشعب الاميركي . ان الناطقين الرسميين بلسان وول ستريت ليواصلون إسماع الشعب نغمات رسالتهم الهادفة الى « زعامة العالم » ، ولكنهم يعرضون عليه هذه « الزعامة » ملونة باروع الاصباغ الاخلاقية لكي يكملوا افواه المعارضين لاصطناع الدولة اداةً لفتح العالم ، ويحملوا الشعب الاميركي على الرضا باستعمال القنبلة الذرية ضد العزل والايواء .

إسمع الى الرئيس ترومان يقول بلسان محتكري وول ستريت في مناسبات مختلفات :

« ان العالم ليتطلع الينا اليوم لزعامته ... ان جوهر سياستنا

الخارجية هو السلام . » *

« إن شعوب الارض ... لتتلعغ أعناقها اليوم الى الولايات المتحدة اكثر مما فعلت في اي وقت مضى ، مكبرة فيها جبهتها للخير وقوتها وزعامتها الحكيمة . فنحن لم نطمع بارض أحد ، ولم نفرض ارادتنا على احد . ان الاستعمار القديم - الاستغلال من اجل الربح الشخصي - لا محل له في خططنا . » **

* Harry S. Truman, State of the Union Message, Jan. 6, 1949.

** Truman, Inaugural Address, Jan. 20, 1949.

« وفي صوغ النتيجة سيمثل شعب الولايات المتحدة دوراً رئيسياً . . . إن جميع الناس خُلقوا متساوين . . . وأن لهم الحق في الحياة ، والحرية ، والسعادة على قدم المساواة . . . أننا لا نستطيع أن نغضي عن العنف والظلم . . . ويتعين علينا أن نلقي بثقلنا في كفة الحرية الكبرى والعمل لضمان حياة أفضل لجميع الشعوب . . . [لنرضي] تلك الذات الكلية القدرة التي وضعت أمامنا مثل هذه الفرص الضخمة لخدمة النوع الانساني في مقبلات الايام . » *

لا الاستعمار ، ولكن « الزعامة » . . . لا الاستغلال ، ولكن « الحرية والعمل من أجل حياة أفضل » . . . لا حرب الفتحة المبينة ، ولكن « السلام » . تلك هي اذن اغراض الولايات المتحدة !

وقد عبّر عن جوهر الاندفاع الاميركي في سبيل السيطرة على العلم أحسن التعبير رجل لم يلعب احدٌ مثل دوره الشخصي في العمل على التمكين للرسميل الأميركي في العالم ، اعني ليو ويلتش Leo D. Welch أمين صندوق شركة ستاندرد للنفط (نيو جيرزي) الذي صرف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية مليارات الدولارات وظفتها الشركة في المشروعات الخارجية ، وقبض مليار دولار تقريباً من ارباح تلك المشروعات حتى الآن . . .

ففي اواخر سنة ١٩٤٦ ، بينما كانت الخطوط الكبرى لسياسة الخارجية رهن التحديد ، تحدث ويلتش ايضاً عن « الزعامة » ولكنه عرفها تعريفاً أوضح وأوضح ، قال :

* Truman, State of the Union Message, Jan. 5, 1950.

« ... تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم — سياسية واجتماعية واقتصادية — وإن من واجبنا ان نحققها بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . إن علينا ، بوصفنا اكثر دول الارض إنتاجاً ، واقواها وساميل ، واغناها بالصناعة الآلية ، ان نخزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الاسهم في تلك الشركة الكبرى التي يطلقون عليها اسم العالم وليس ينبغي ان يكون ذلك الى أجل مسمى . إنه واجب سرمدى لا يجوز التفريط فيه . » *

لقد تحدث هتلر عن الرايخ الذي سيعمر الف سنة . أما ويلتش فيتحدث عن حكم وول ستريت السرمدي . ولا تسخر من هذه الفطسة . فقد كان ويلتش منهمكاً في رسم السياسات التي يتعتن على وول ستريت انتهاجها ، وهي سياسات اثبتت في امانة واخلاص ، وإنها لتنتطوي على خطر حرب عالمية ماحقة .

وحدث ويلتش زملاءه من رجال المال على ان يفيقوا من سباتهم الطويل ، وطلب اليهم ان لا يتعدوا بعد اليوم وينتظروا انهيار الرأسمالية ، لأن مصالحهم تقضي بأن يتخذوا هم موقف الهجوم : « واذن فالمشروعات المالية الاميركية الحصة بين امرين اثنين : إما ان تضرب ضربتها وتنقذ مركزها في طول العالم وعرضه ، وإما ان تواصل استرخاءها وتشهد جنازتها بأم عينها والواقع ان سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة

* Leo D. Welch at National Foreign Trade Convention, Nov. 12, 1946.

رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها ، مما كانت في ايما وقت مضى . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا تلك لا يقل اهمية عن احترام مبادئنا السياسية ...»

ولكن ما هي الاجزاء الرئيسية التي تؤلف استراتيجية التوسع غير المحدود ؟ لقد عالج جوردان هذه المسألة منذ سنة ١٩٤٠ فقال : « اذا راجعنا صفحات الاختبار البريطاني عرفنا بعض الاشياء التي قد تعنيها تبعة الرجل الابيض هذه حين تنصدر لملها . إنها تنطوي على مسؤولية ضخمة قوامها جمع الموارد المالية التي تستند اليها واستخدامها وحفظها . »

ان على الدولة ان تعي عدة مباريات ، كما هو واقع في مشروع مارشال ، لتعزيز سيطرة الرساميل الاميركية على البلدان الاخرى . ولكن هذا ليس كل شيء ، فنحن نعرف من بعض الصفحات الأشد سواداً في التجربة البريطانية خلال القرن الماضي انها تنطوي على الاحتفاظ بقوى بشرية وآلية ضخمة لا لمجرد الدفاع الوطني بل لكي تتم لنا سلطة دولية فعالة ومستمرة تمكننا من إقرار السلم والنظام . »

وهكذا يتعين على الاستعمار الاميركي ، بوصفه الاستعمار الغالب ، ان يسيطر على العالم عسكرياً . إن عليه ان ينشيء قوة مسلحة

* المصدر السابق نفسه .

••• Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 10, 1940.

*** المصدر السابق نفسه .

هائلة لا للدفاع الوطني ، ولكن للعدوان ، لقرص سلطان
الولايات المتحدة في كل مكان .

ولم يكن في ميسور جوردان أن يتنبأ ، سنة ١٩٤٠ ، بالخصم
الألد الذي ينبغي على قوات الاستعمار الاميركي المسلحة ان تواجهه
لحربه . حتى اذا انقضت ست سنوات لم يبق ثمة تردد أو ريب .
فقد أوضح ويلتش لمستمعيه من كبار رجال المال والاعمال بعض
العقبات التي تنهض في طريق المستعمرين الاميركيين من مثل نضال
العمال في سبيل أجور أعلى ومن اجل الاشتراكية ، وكفاح
الشعوب المستعبدة من اجل التحرر الوطني ، ومقاومة الدول
الاستعمارية المنافسة لول ستريت الذي يعمل على زحزحتها عن
مكانتها . ولكن العدو الرئيسي كان محدداً أتم التحديد في ذهنه :
« إن جميع هذه القوى لتتضاءل في ظل النضال الكبير بين
الاتحاد السوفياتي والدول الغربية ، هذا النضال الذي تصل
ارتجاجاته الى كل زاوية من زوايا الكرة الارضية . »

٦ : محاولة استعمار اوروبة

تحتل اوروبة الغربية المحلل الاول في برنامج وول ستريت للسيطرة على العالم . ولا غرابة في ذلك فهي تملك صناعةً متطورةً ويداً عاملةً بارعةً خليقتين بان تجعلها مصدراً من مصادر الربح الفاحش لمن يستطيع أن يهبط بها الى وضع استعماري او شبه استعماري . انها ، بما تملك من امبراطوريات قديمة ، مفتاح السيطرة على قسم كبير من افريقية وآسية . ليس هذا فحسب بل ان اوروبة الغربية بفضل موقعها ونظام الصناعة والمواصلات فيها ، وقوتها البشرية في ميداني الصناعة والحرب ، هي القاعدة المنطقية الرئيسية للحرب الميئة ضد الاتحاد السوفياتي .

والواقع أن مصالح وول ستريت في اوروبة ليست جديدة . فبعد الحرب العالمية الاولى أنفقت حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من الدولارات لمساعدة المستعمرين الاوروبيين على خنق الثورات في هنغارية وبولندة وفنلندة ، وابتغاء القضاء على الجمهورية السوفياتية الناشئة . حتى اذا توطدت دعائم الحكم الرأسمالي توطداً موقتاً في القسم الاكبر من اوروبة - وذلك حوالي سنة ١٩٢٣ - وظفت الشركات الاميركية عدة مليارات من الدولارات في

المانية ، وانكلترة ، وفرنسة ، وإيطالية ، وغيرها من البلدان الاوروبية .

لقد كان الاستعمار الاميركي من القوة بمحلٍ استطاع معه ولوج اوروبة ، ولكنه كان لا يزال أعجز من ان يحاول بسط سلطانه عليها . وكانت الرساميل التي وظفها في تلك القارة غير كافية لفرض سيطرة وول ستريت على صناعاتها الرئيسية . كذلك احتفظت البلدان الاوروبية بقوى مسلحة ضخمة وبجياتها السياسية الخاصة . ولم تقم القوات الاميركية فترةً طويلة في اوروبة بعد انقضاء الحرب العالمية الاولى .

أما الحرب العالمية الثانية فقد نتج عنها توازنٌ جديد في القوى بلغ الاستعمار الاميركي بفضل تلك المرحلة التي عجز عن بلوغها عقب الحرب العالمية الاولى : أعني مرحلة القيام بمحاولةٍ لاستعمار اوروبة . وهكذا عبأت الحكومة ، وفقاً لتوجيهات وول ستريت التي عبّر عنها فيرجيل جوردان * ، عشرات المليارات من الدولارات لتمويل هذه المحاولة ، وقدّمتها في شكل قروض وهبات الى بلدان اوروبة الرأسمالية . أما الشعب الاميركي فقد قبل له ان هذه المليارات أنفقت لأطعام الشعوب الجائعة ، وانتقاذ المؤسسات الحرة ، وصيانة استقلال هاتيك البلدان من العدوان . ولكن الغرض الحقيقي كان عكس ذلك .

والاستعمار الاميركي يصطنع أساليب مختلفة في محاولة فتح اوروبة . وتنظم هذه الاساليب الاتفاقات المالية المعقودة مع

* راجع الفصل السابق .

بعض الدول الاوروبية المفردة ، ومبدأ ترومان في اليونان وتركيا ،
ومشروع مارشال الذي يستغرق اوروبا الرأسمالية بكاملها
وينطوي على اتفاق ما يزيد على خمسة عشر مليار دولار ، وحلف
شمالى الاطلسي الذي ما يرحل ينمو ويتسع من حيث نطاق العمل ومداه .
ولهذه البرامج كلها مجموعة واحدة من الاهداف :

- ١ . السيطرة السياسية على اوروبا ،
- ٢ . السيطرة الاقتصادية على اوروبا ،
- ٣ . الاستيلاء على المستعمرات الاوروبية ،
- ٤ . إعداد القواعد العسكرية للحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

اسلوب الفتح التدريجي

وتسطع الولايات المتحدة اسلوب الفتح التدريجي لبلوغ هذه
الاهداف الاربعة . فاذا اخذنا بريطانيا مثلاً وجدنا ان اتفاقية
القرض المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ ، لم تفرض
عليها غير بعض الشروط العامة . ولكن هذه الشروط اضعفت
الاستقلال البريطاني الى درجة حملت لندن على ان ترضي شروطاً
اقسى واعنف ، في ظل مشروع مارشال . وما هي الفترة حتى
وجدت الحكومة البريطانية نفسها مضطرة الى القبول بحلف شمالي
الاطلسي واتفاقات العون التي انطوى عليها .

ولسنا بجانب الحقيقة إذا قلنا ان بريطانيا انتهت اليوم الى ان
تصبح عضواً في « كومونولث الولايات المتحدة » ، وان استقلالها
عن سيدها قد يكون اوفر بعض الشيء من الاستقلال الذي كان

للهند في الامبراطورية البريطانية القديمة ، ولكنه اقل بعض الشيء من الاستقلال الذي تمتعت به اوسترالية في تلك الامبراطورية. وليس ذلك ، في الحق ، شيئاً قليلاً بالنسبة الى دولة كانت سيدة البحار في يوم من الايام ...
وسنعالج في بقية هذا الفصل هذا الاستعمار التدريجي لأوروبا من زاوية السيطرة السياسية عليها .

التعاون مع العناصر الرجعية

ان سيطرة الاستعمار الاميركي السياسية على أوروبا الغربية بدأت خلال الحرب العالمية الثانية. وتفصيل ذلك ان نضال الشعوب الأوروبية ضد الاستعمار الألماني كان ، في الوقت نفسه ، نضالاً ضد الاستعماريين « الوطنيين » الذين تعاونوا مع الغازي ، وساعدوه على استعباد الشعب .

ففي فرنسا وضعت قوى التحرير المؤيدة من كثرة السكان الكبيرة منهاجاً يهدف الى تأميم الصناعات الرئيسية وصيانة استقلال البلاد . وفي ايطاليا اقرت « لجنة التحرير الوطني » برنامجاً ضخماً ينتظم تأميم الصناعات الاساسية واجراء إصلاح جذري في ما يتصل بملكية الاراضي .

ومثل هذا التوازن في القوى حصل ايضاً في بلدان أوروبا الشرقية. فهنا سمحت الجيوش السوفياتية للقوى المناوئة للاستعمار بأن تنزل العقاب باولئك الذين تعاونوا مع الفاشستين ، وأمدت الشعب بالسلاح وبالعون الاقتصادي اللذين يمكنانه من توطيد

حكمه وسلطانه .

اما مهمة الجيوش البريطانية الاميركية فكانت على خلاف ذلك تماماً : ان تحول دون تحرير البلدان التي احتلتها . ومن هنا اصرّت على تجريد قوى المقاومة الشعبية من السلاح ، وحملت معها قوات كانت الحكومات الرجعية المهاجرة قد جمعتها وزوّدتها بالاسلحة الاميركية . ليس هذا فحسب بل لقد تعاونت الجيوش البريطانية والاميركية ، في جميع المواطن التي احتلتها ، مع جمهرة السياسيين والرأسماليين الرجعيين ورفعتهم الى مراكز السلطة والحكم ...

وفي اليونان وبلجيكة جرّدت الجيوش البريطانية جماهير الشعب من السلاح ، عنوةً واقتداراً ، واقامت في الأولى نظاماً ملكياً فاشتياً بقوة الحراب . اما في فرنسا وايطالية فارتضت الجماهير ان يُنزعَ منها سلاحها ، واجريت انتخابات نيابية . ولكن الرجعيين ظلوا يحتلون المراكز الحاسمة في الدولة ...

وطبعي ان تفقد الحكومات الرأسمالية التي نصّبها التواطؤ البريطاني الاميركي حريتها واستقلالها . فقد كانت خاضعة لسيطرة لندن وواشنطن ، ولسيطرة هذه الأخيرة على الخصوص بعد ان لجأت اليها في طلب المساعدة الاقتصادية والعسكرية ابتغاء إحياء مصانعها والاحتفاظ بامبواطورياتها الاستعمارية .

وإنما تمّ التمكين للقوى الاستعمارية ، في معظم اجزاء أوروبا ، بواسطة قوات بريطانية واميركية مشتركة . وقد وافق ذلك صراعٌ بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الاميركي للسيطرة على

اوروبه . ولكن الاستعمار البريطاني كانت تعوزها الموارد المالية والعسكرية، فلم يكن بدّ من انكفائه في وجه المنافسة الاميركية . وفي ألمانيا دُجبت منطقتا الاحتلال البريطانية والاميركية ، سنة ١٩٤٦ ، بشروط جعلت الاميركيين اصحاب الكلمة العليا بفضل مركزهم المالي المتفوق . كذلك انقلب الاحتلال الانكليزي الاميركي لاطالية الى سيطرة اميركية مطلقة، وأسلم البريطانيون اليونان للاحتلال الاميركي (مبدأ ترومان) .

ولم يدشن مبدأ ترومان سياسة العنف الاستعمارية الاميركية في اوروبه فحسب، بل كان نذيراً بطورٍ جديد من أطوار سيطرة اميركية السياسية المتعاضمة على اوروبه الغربية . فلم تكد حكومة الولايات المتحدة تتدخل في اليونان حتى اصدورت امرها بأقصاء الشيوعيين عن جميع الحكومات المؤتلفة في البلدان الخاضعة لنفوذ واشنطن ؛ وفي ربيع ١٩٤٧ اخرج الشيوعيون من حكومات بلجيكة ، وفرنسة ، وايطالية ، وتشيلي . وقد أتيت هذه الخطوة بحملة من الاضطهاد المكشوف وجهتها تلك الحكومات الى النقابات العمالية ، وبموجة من العنف المسلح حاول الحاكمون ان يضعوا بواسطتها حداً لأضرابات العمال المتكررة .

تعاظم السيطرة السياسية

ويلعب مشروع مارشال دوراً كبيراً في اخضاع اوروبه لسيطرة الولايات المتحدة . ذلك بأن جميع الحكومات التي رفعها هذا المشروع الى دست السلطة مستعدة لأن تبني استقلال شعوبها

بمولا عند اوامر واشنطن . وإحدى الطرق المؤدية الى ذلك هي توقيع الاتفاقات غير المتكافئة .

والواقع ان الحكومة الفرنسية أذغت لسلسلة من التنظيمات التي أوحث واشنطن بتطبيقها في ألمانيا الغربية ، والتي أدت الى تقوية العدو القديم ، الاستعمار الالماني ، على حساب فرنسا . وكذلك وقعت جميع الحكومات المشمولة بمشروع مارشال على اتفاقات منفردة مع الولايات المتحدة تنازلت بموجبها عن جزء كبير من سيادتها في الشؤون الداخلية .

وهذه الاتفاقيات تعطي واشنطن الحق في إيفاد البعثات الخاصة ذات الامتيازات الدبلوماسية الى البلدان الموقعة عليها . وتجهز لاعضاء هذه البعثات ولرجال الكونغرس ومساعدتهم ان يقصدوا الى كل مكان ، وان يشاهدوا كل شيء ، وأن يطبوا الى حكومات تلك البلدان تسهيل مهامهم على اختلافها . والحق ان بلدان اوروبا الغربية لتفصّ اليوم بالموظفين ورجال الاعمال الاميركيين الذين يسيطرون في كبرياء السيد وعجرفة المتفضل ، كما كان « السياح » النازيون يفعلون في البلدان التي اعتزم الاستعمار الالماني فتحها . ليس هذا فحسب ، بل إن هذه الاتفاقيات تمنح حكومة الولايات المتحدة سلطة فعالة على السياسات المالية الخاصة ببلدان المشروع ، ونحظر على الحكومات الاوروبية حماية رأسماليتها من مزاحمة الشركات الاحتكارية الاميركية .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية ان تعطل احكام اتفاقية مشروع مارشال التي وقعت عليها خوفاً من نعمة الشعب الفرنسي الذي

يضع استقلاله الوطني فوق كل اعتبار .

وقد تدهش اذا علمت ان اصغر موظف اميركي يقيم في اوروبه باسم مشروع مارشال ليستشعر انه حر في تحدي الحكومة الاوروبية التي يعمل في ظلها ، وانتقادها . وسنجدزي ههنا بمثل واحد على ذلك . فنزولاً عند إرادة المشرفين على مشروع مارشال ، وازنت الحكومة الايطالية موازنتها وثبتت نفقدها على حساب الشعب الايطالي ، ولجأت الى تدابير «توفيرية» مختلفة زادت ازمة البطالة حدةً وخطراً ، وتركت البلاد مشرعة الابواب في وجه السلع والرساميل الاميركية . ولكن واشنطون ما لبثت ان رغبت ، خريف سنة ١٩٥٠ ، في ان تشجع انتاج ايطالية الحربي ، وهي رغبة تقتضي سياست مختلفة بالكلية . فما كان من ليون دايتون Dayton ، رئيس بعثة مشروع مارشال في ايطالية ، إلا ان شن هجوماً عنيفاً على الحكومة الايطالية لاتباعها تلك السياسات التي أمرت بها حكومته نفسها في وقت من الاوقات . ومن عجب ان الحكومة الايطالية لم تطالب باقالة هذا الموظف ، بل اكتفت بان دافعت عن مسلكها ، زاعمة انه قد عمات من قبل على انتهاج السياسة التي يطالبها دايتون الآن بانتهاجها ، وبذلك مهدت السبيل لتكييف نفسها وفق التحول الجديد في السياسة الاميركية . وفي الوقت نفسه تقريباً هددت واشنطون بالتوقف عن شحن المساعدات التي يقضي بها مشروع مارشال الى اليونان اذا لم تقلع حكومة تلك البلاد عن «تقصيرها» في تنفيذ بعض التعليمات الصادرة

* New York Times, Oct. 3, 6, 1950.

اليها من ادارة المشروع . وما هي الا اسابيع معدودات حتى
أعدت تشريع تبنت فيه الحكومة اليونانية مطالب الولايات المتحدة .
أما في المانية الواقعة تحت الاحتلال العسكري المباشر ، وفي
اليونان الخاضعة لمراقبة « المستشارين » العسكريين والمدنيين فان
سلطان اميركة السياسي يذهب الى حد تسمية الوزراء ، ورؤساء
الوزراء ، واركان الجيش . وفي سنة ١٩٤٩ اقامت الولايات
المتحدة وبريطانية وفرنسة دولة المانية غربية تسيطر القوات المحتلة
على سياستها التشريعية والتجارية والخارجية وعلى دفاعها الوطني .

« تومبير » اوروبية

وإنما تحاول الولايات المتحدة أن تفرض سيطرتها الاستعمارية
على اوروبية الرأسمالية كلها تحت شعار « الوحدة » الاوروبية ،
زاعمة ان دول اوروبية المتعددة أصغر من ان تستطيع الحياة
منفردة وأن عليها ان تندمج في دولة « أطلسية » كبرى تكون
الكلمة العليا فيها لواشنطن .

ويعقد الاستعماريون الاميركيون مقارنة مغلوطة بين هذه
الوحدة الاوروبية والاتحاد الفدرالي القائم بين ولاياتنا الاميركية .
ذلك بان تلك الخطوة انما تمت في فترة مبكرة من الرأسمالية عندما
اندججت عناصر شعب ذي اقليم مشترك ، ولغة مشتركة ، وثقافة
مشتركة ، واقتصاد مشترك ، في دولة واحدة قضى تطوّر
الرأسمالية تطوراً كاملاً بقيامها . وقد اجتازت مختلف الدول
الاوروبية هذه المرحلة نفسها منذ زمن طويل ، فمر بها بعضها قبل

الولايات المتحدة ، ومر بها بعضها الآخر بعدها بقليل .
والواقع ان لينين نادى بالوحدة الاوروبية خلال الحرب
العالمية الاولى . وقد انطوت دعوته لا على دمج الشعوب ذات
اللغة المشتركة واسلوب العيش المشترك في وحدة سياسية ، بل على
تراوج الامم ذوات اللغات المختلفة ، والثقافات المختلفة ، والاقتصاديات
المختلفة في وحدة سياسية مفردة . ففي ظل الرأسمالية لا يُعتبر دمج
الامم المختلفة في دولة واحدة خطوة تقدمية ، بل خطوة رجعية .
انها تنطوي من غير ريب على سيطرة الأمم الكبرى على الامم
الصغرى ، وهو ضرب مقتنع من الاستعمار .

والواقع ان الاستعماريين الاميركيين سعوا منذ انتهاء الحرب
العالمية الثانية ، سعياً حثيثاً لتوحيد اوروبا الرأسمالية : فاجريت
محادثات لالغاء الحواجز الجمركية ، وانشاء مجلس لأوروبا ،
ومنظمة للتعاون الأوروبي الاقتصادي . ولكن هذه الجهود كلها
تخطمت على صخرة الخلافات القائمة بين مختلف المجموعات الاوروبية
الرأسمالية ، وحرص الشعوب الاوروبية على استقلالها الوطني .

وقد شكاجون فوستر دولز ، احد واضعي التصاميم البارزين
لفرض سلطان وول ستريت على العالم ، من هذا الاخفاق وعُبر
عن عزم الاستعمار الاميركي على دمج الدول الاوروبية بعضها
ببعض ، زاعماً ان لنا « الحق » في ذلك « لاننا قد وظفنا رساميل
هائلة في اوروبا الغربية » و « بسبب من روابط الدم التي تصل
ما بين شعبنا وشعوب اوروبا . » وهو يصر على ضرورة اصطناع
« الضغط القوي » للتغلب على مقاومة الشعوب لهذا المشروع ،

عاذراً اولى الامر الاوروبيين الذين صرحوا له بان شعوبهم لا تسمح لهم بان يخطوا الخطوة الأولى في سبيل الوحدة الاوروبية و « ان الولايات المتحدة يجب ان تدفعنا . » ولم يخيب دولز آمال هؤلاء الساسة فاذا هو يقول في صراحة بالغة : « ليس في وسعنا ان نتشبث في هذه الفترة الخطيرة ، باهداب الرسميات . ونحن لم نبذل ما بذلناه من جهود جبارة في الغرب ، عقب الحرب العالمية الثانية ، لنكسب مباراةً في الشعبية ... فالشعبية ، حتى لو استطعنا ان نشترها باموالنا ، لا تستحق ان يُنفق من اجلها ٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار . ثم اننا لا نتمتع بشعبية حسنة في هذه الأيام ... اننا نرغب في ان نقوم بمهمة كاملة حتى يكون في ميسورنا ان نتركها بعدد ونوجه اهتمامنا وعوننا المادي نحو الانضاع الملحة في مواطن اخرى ، وبخاصة في المحيط الاطلسي والشرق الاقصى . » *

والواقع ان محاولة توحيد اوروبا على طريقة دولز واتشيسون لتقوم من وجهة النظر السياسية على اساس احياء الصناعة الالمانية العدوانية ، كما جرى بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكن مع هذا الفرق ، وهو ان امراء وول ستريت لن يكتفوا هذه المرة باحياء الصناعة الالمانية ولكنهم عازمون على ان يفرضوا سيادتهم على الرور ، ومن ثم على اوروبا الشمالية كلها . والمكانة الرئيسية التي تحتلها المانية في خطط وول ستريت إنما تتجلى بشكل صارخ في تصريحات الناطقين باسم رأس المال الاميركي ، من هيربرت هوفر سنة ١٩٤٦ ، الى اتشيسون سنة ١٩٤٧ ، الى دولز سنة ١٩٥٠ .

* John Foster Dulles, War or Peace, p. 215, N.Y., 1950.

واسباب هذا الاهتمام كله بالمانية متعددة. فالاحتلال العسكري
 الصريح يجعل منها قاعدة ممتازة للعمليات الحربية. والرساميل الاميركية
 الموظفة في المانية الغربية اليوم تفوق الرساميل الاميركية الموظفة
 في بريطانيا بعض الشيء ، وتبلغ اضعاف تلك الموظفة في ايبا
 بلد اوروبي آخر . ومن طريق هذه الرساميل ، ومن طريق
 المحالفات الاقتصادية الدولية تمت لول ستريت صلات وثيقة
 باصحاب المصارف والمصانع في الرور . من اجل ذلك ، وبسبب
 من طاقته الاقتصادية الضخمة ، غدا الرور قاعدةً مثالية لاستعمار
 اوروبة القارية برمتها . اذ الى ذلك ان المانية الغربية هي
 معقل الفاشستية والضباط النازيين الراغبين في التأثير هزيمتهم في
 الحرب العالمية الثانية ، العاملين في خدمة الخطط الاستعمارية
 الاميركية لشن حرب عالمية على الاتحاد السوفياتي . وطبعي ان
 يكون الرور هو المركز الرئيسي لكل دار صناعة او ترسانة
 arsenal تنشأ في اوروبة لشن تلك الحرب . ليس هذا وحسب ،
 بل ان احياء الرأسمالية الالمانية في ظل ول ستريت وتحت اشرافه
 خليق بان ينزل الى الميدان منافساً قوياً للاستعمار البريطاني ، وبان
 يقيم توازناً في القوى تستطيع الخطط الاستعمارية الاميركية ان
 تخضع بواسطته الحصين المتصارعين ، لسلطانها ، وهكذا يوضع
 الاستعماريون البريطانيون ، بفضل الوحدة الاوروبية ، في مركز
 يقضي عليهم بان يتنافسوا مع اصحاب الرساميل الالمانية على
 شرف الحصول على لقب الشريك الصغير لول ستريت !! ...

٧ . السيطرة الاقتصادية على أوروبا الغربية

وتجري سيطرة اميركة السياسة على أوروبا الغربية جنباً الى جنب مع سيطرة رأس المال الاميركي الاقتصادية على تلك البقعة من العالم .

ومن خلال الاتفاقات والخطط والصفقات التي وضعت بلدان مشروع مارشال تحت سلطة الولايات المتحدة تبدو للباحث بضع ظواهر عامة :

١ . لقد قصِد في كل من هذه الاتفاقات والخطط والصفقات ، الى ضمان ربح عاجل خضم للشركات الاحتكارية الاميركية .
٢ . لقد اخذ بعين الاعتبار في كل منها ، إضعاف الاقتصاد الاوروبي وتقويض آساسة ، واستغلال طبقة العمال الاوروبيين استغلالاً إضافياً ، ومساعدة وول ستريت على امتلاك الصناعات الاوروبية .

٣ . ان الهدف النهائي الذي ترمي اليه هذه الاتفاقات والخطط والصفقات جميعاً هو تحويل صناعة أوروبا الغربية الى ترسانة يسيطر عليها امراء وول ستريت ويفيدون منها في حال نشوب حرب عالمية جديدة .

وسنبحث فيما يلي بعض الخطوات الرئيسية في هذه العملية .

المبالغة في اغراق الاسواق

ان عشرات المليارات التي تألفت منها قروض الولايات المتحدة وهباتها بعد الحرب العالمية الثانية ، جعلت من اوروبا الغربية حقلاً مضموناً لاستهلاك الفائض من المنتجات الاميركية الصناعية والزراعية . والواقع ان ما بين ٦٠ الى ٨٠ بالمائة من مجموع صادرات الولايات المتحدة من الحبوب وفستق العبيد (الفول السوداني) ومنتجات النحاس والقمح والطحين والقطن والتبغ خلال التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٤٩ أرسلت الى البلدان المشغولة بمشروع مارشال* .

وهذه الصادرات كلها لم ترسل الى تلك البلدان لان شعوبها في حاجة اليها ، ولكنها أرسلت لان الاحتكارات الاميركية كانت تريد التخلص منها ، على ما يؤخذ من شهادة ادلى بها الكولونيل اندروز المسؤول عن تأمين الاغذية في شعبة التموين المدني التابعة للجيش الاميركي في المانية :

الكولونيل اندروز : الحق انهم لا يستطيعون ان يبيعوا هذا الفول السوداني في الولايات المتحدة لسبب واحد وهو غلاؤه ... انه غذاء جيد وانه لتضع منه زيوت ودهون ممتازة ، ولكن ليس ثمة مكان على ظهر هذا الكوكب يمكن ان يرسل اليه هذا الفول

* E. C. A., 18 th Report for the Public Advisory Board, Dec., 1949. cover page.

السوداني لو لم تأخذه نحن .

النائب الجمهوري تابو (نيوبورك) : بمثل ذلك السعر .

الكولونيل اندروز : أجل بذلك السعر ، ان لم يُرسل الى المانية . لقد كان على الجيش ان يأخذه من دون سائر الناس .

النائب الجمهوري غاري (فوجينيا) : هل تعني انهم أبوا ان يبيعوك منتجات اخرى ما لم تشتروا فستق العبيد هذا ؟

الكولونيل اندروز : لكي نحصل على حصة من هذه الزيوت من وزارة الزراعة اظن ان من الصواب الزعم انه كان علينا ، عملياً ، ان نقول : « لا بأس » ، سنأخذ مقداراً من فولكم السوداني . « لقد التمسْتُ منهم ان يعطوني بعض شحم الخنزير واضرابه فكان جوابهم : « لن نسمح بتصدير أيما كمية من شحم الخنزير ؛ ان في استطاعتك ان تأخذ كمية من فستق العبيد . » وهكذا قلت : « اذن أعطونا اياها ... » *

والواقع أن المنتجات الفاضلة التي اغرقت بها ألمانية سنة ١٩٤٨ اشتملت على ٢٣٦،٩١٤،٠٨٦ رطلاً (انكليزياً) من فستق العبيد غير المقشور ، و ٤٤٣،١٠٩،٠٧٨ رطلاً من الخوخ والعنب والتين والدراق والشمش المجفف و ١٠،٨٠١،٤٢٤ من العسل . وحتى هذه المقادير كلها لم ترض اصحاب الجنائ الذين وفدوا على واشطون في اوائل سنة ١٩٤٩ وهدّوا بقطع ٢٨ بالمائة من اشجارهم المثمرة إذا لم تزد السلطاتُ المشرفة على مشروع مارشال الكميات التي

* Foreign Aid Appropriations Bill for 1950, Hearings cited, pp. 914-15.

تصدّرها من الفاكهة المجففة .

وليس من ريب في ان موجة التصدير هذه لم تساعد شعوب البلدان الداخلة في نطاق مشروع مارشال بل اوقعت بها اذى كبيراً . ذلك انها انقصت الانتاج المحلي في أوروبا ، وضيق نطاق الاستيراد من البلدان الاخرى . ليس هذا فحسب بل ان جمهير الشعب في الدول الاوروبية لم يكن في ميسورها ان تشتري السلع الاميركية لان السياسات التي فرضتها واشنطون ، بالتعاون مع الاحتكارات الاوروبية ، قضت بانقاص قوة العمال الشرائية الى حد جعلهم عاجزين عن دفع الاثمان الغالية المحددة لتلك السلع . وهاك مثلاً على ذلك : لقد رُكّز شحن الحبوب الاميركية الى ايطالية تركيزاً متعمداً في الفترة القصيرة التي سبقت انتخابات نيسان ١٩٤٨ . حتى إذا وصلت الشحنات الى الموانئ الايطالية استقبلها السفير الاميركي والموظفون الايطاليون بحملة صاخبة من الدعاية اديرّت على محور اطعام الشعب الايطالي الجائع ...

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ كشفت برقية مرسلة الى « صحيفة التجارة » *Journal of Commerce* النيويوركية النقاب عن مصير تلك الحبوب . وقد جاء في هذه البرقية ان اربعين بالمائة من الشحنات التي تلقىها ايطالية خلال الخمسة عشر شهراً الاولى من تنفيذ مشروع مارشال ظلت غير مبيعة حتى نهاية تلك المدة . وبلغت النسبة حداً اعلى من ذلك بكثير في اصناف من البضائع مخصوصة ، كالحبوب والعقاقير وغيرها . وقد علقت « صحيفة التجارة » على ذلك بقولها : « إن عجز الشعب الايطالي عن شراء قسم كبير من المنتجات

المرسلة اليه من قبل «ادارة التعاون الاقتصادي» قد خلق للحكومة
الايطالية مشكلة رواج يصعب حلها .
ولست في حاجة الى التاكيد أن الاحتكارات الاميركية قد
جنت أرباحاً استثنائية من هذه السياسة . فقد بيعت هذه البضائع
من شعوب أوروبا بأسعار أعلى من الاسعار العادية ، وساعد تصديرها
السخي على إيجاد جو من «القصور» shortage المصطنع في الولايات
المتحدة نفسها . استغلت الاحتكارات الاميركية لرفع الاسعار فوق
مستوى القمم التي بلغت أيام الحرب خوال سنوات متعددة ...

قفزة الأجور

ومن خطوات الأساسية في استعمار أوروبا 'إنقاص' الأجور
الحقيقية بمعن الأوربيين و'نقض' ظهورهم بالعمل الثقيل بحيث
ترتفع نسبة استغلالهم الى المستوى الذي بلغته في المناطق المستعمرة
ونصف المستعمرة . وفي ذلك مايفسح المجال أمام الرأسماليين
الأميركيين لانتزاع الارباح الفاحشة المألوفة من المشروعات الاجنبية .
ومما يدل على ان نية الولايات المتحدة متجهة الى خفض مستوى
العيش في أوروبا شهادة أدلى بها بول هوفمان Hoffman ، مدير
مشروع ماوشال ، أمام لجنة من أعضاء الكونغرس :

« ذا اعترفنا ان نمذ أوروبا بالدولارات ، واعتزمت أوروبا
ان تبلغ ما نستطيع ان ندعوه المستوى المغلوط في العيش فعندئذ
لا تكون العقبة خيراً . وهكذا سعينا الى ان نقيم سقوفاً
لمستويات العيش . »

وحدد مساعده ريتشارد بيسيل Bissell ، تلك « السقوف »
 على الوجه التالي : المطعم - « هنا نستطيع ان نتخذ سنة ١٩٣٨
 سقفاً او حداً اعلى » ؛ المسكن - « ادنى مما كان عليه في السنوات
 السابقة للحرب » ؛ الملابس وبضائع الاستهلاك - « إن استهلاك هذه
 السلع يجب ان يخفض ، في معظم الأحوال ، الى مادون المستوى
 الذي كان عليه قبل الحرب على الرغم من تعاظم الحاجة اليها بسبب
 من ان الأوروبيين حرّموها ، او كادوا ، خلال سنوات الحرب
 العجاف . » *

وهكذا قدّر على طبقة العمال الأوروبيين التي عانت ماعانته
 طوال عشر سنوات من الازمة الاقتصادية وخمس سنوات من
 الحرب ان تقاسي آلاماً اعمق في ظلّ الاستعمار الاميركي الحديث !
 أما الاساليب التي اصطنعها أمراء وول ستريت لكبت
 مستوى العيش فتشمل تجريد الاجور (وفرضها على العمال بالرصاص
 عند الاقتضاء) ورفع الأسعار ، وإثقال كاهل الطبقة العاملة في
 اوروبا بالضرائب الفادحة ، والنفقات العسكرية الباهظة ، وخفض
 قيمة النقد خفصاً متكرراً ...

ولننظر في النتيجة التي آلت اليها هذه الاساليب في انكلترا
 - شريكة الاستعمار الاميركي الصغرى - التي لا تزال تحصل على
 غنائم وافرة من امبراطوريتها الاستعمارية . ولنعتمد في ذلك
 شهادة الدكتور فيتزجيرالد ، الخبير الزراعي في مشروع مارشال ،
 الذي وصف حالة الغذاء في بريطانيا كما كانت في اوائل سنة ١٩٤٩ ،

* Foreign Aid Appropriations Bill for 1950. pp.58-59.

قبل تخفيض قيمة الجنيه ، وقبل التعبئة العسكرية التي أمرت بها
واشنطن سنة ١٩٥٠ ، فقال :

« ... إنّ التغير الذي طرأ على نوعية الاغذية ليتجلى لنا إذا
ألقينا نظرةً على بعض التغيرات التي المّت بموادّ الغذاء الفرديّ .
فبالنسبة الى ما كانت عليه الحال قبل الحرب نجد ان متوسط
استهلاك الفرد في المملكة المتحدة من مادة البطاطا قد ارتفع ٦٥٪
وان متوسط استهلاكه من الخبز زاد نحواً من ٢٥٪ في حين أن
متوسط الاستهلاك الفردي من اللحم والسكر والدهن والزيت
(وبخاصة اللحم) قد تدنّى تدنّياً كبيراً . فقد بلغ مجموع ما استهلكته
بريطانية سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ من اللحم نحو ٧٠٪ مما كانت
تستهلكه في السنوات السابقة للحرب ؛ اما الآن ، وابتداء من مطلع
نيسان ، فقد انخفض متوسط استهلاك الفرد البريطاني من اللحم الى
درجة ادنى مما كان عليه في ايام وقت مضى منذ اندلاع الحرب . »
فاذا كان العمال البريطانيون يعانون من صرامة مشروع مارشال
اكثر مما عانوا خلال سنوات الحرب فليس من ريب في ان الحالة في
البلدان الاوروبية الاخرى يجب ان تكون اسوأ من ذلك بكثير .
ففي المانيا الغربية كانت نسبة الاجور الحقيقية ، في حزيرات
سنة ١٩٤٩ - وفقاً لادق الاحصاءات واجدوها بالثقة - ١٣ ونصف٪
أدنى من مستوى سنة ١٩٣٨ * وكانت آنذاك قد انخفضت الى

* المصدر السابق نفسه ص ٣٠٨ .

*** Office of Military Government for Germany (U. S.),
Report of the Military Governor, Berlin, Aug.-Sept. 1949, p.124.

ما دون مستوى الازمة الذي انتهت اليه سنة ١٩٣٢ ، بفضل
تجميد هتار للأجور .

واليك صورة عن الحياة في فرنسا كما رسمها الرأسمالي البارز ،
أريك جونستون ، في مقال له :

« ليس من المبالغة ان نقول ان هوامش الربح نادراً ما تكون
اقل من ٥٠ ٪ وكثيراً ما ترتفع الى ما فوق المائة بالمائة ، ولكن
كثرة الشعب تكاد تشكو العوز والحرمان . إن الاغنياء ليزدادون
اليوم غنى ، وإن الفقراء ليزدادون اليوم فقراً . والنتيجة النهائية
لهذا الوضع يمكن ان تكون العنف - الفوضى - الشيوعية . » *

ويعترف تقرير رسمي اصدورته ادارة مشروع مارشال ان
الاجور الحقيقية في خريف سنة ١٩٤٨ انتهت الى أن تكون ، في
منطقة باريس ، دون مستوى ما قبل الحرب ، بنسبة ٥٠ ٪ .
كذلك المخفض متوسط استهلاك الطعام ١٨ ٪ ، واكثر من ذلك
بالنسبة الى العمال . ** وبعد ان يصف التقرير الاحوال البائسة التي
يعيش العمال الفرنسيون في ظلها يخلص الى القول : « وقد ادى
ذلك الى اثرة حفيظة العمال ، وهو يفسر لنا تعاظم قوة الشيوعيين
في الحقل السياسي ، وفي « اتحاد العمل العام » على السواء . »

وفي عددها الصادر في ٣١ آذار سنة ١٩٥٠ قارنت مجلة
« U. S. News and World Report » المحافظة بين الحياة المترفة التي
تحياها الطبقة الحاكمة في ايطالية وبين حياة العمال الذين يبلغ متوسط

* Eric Johnston in *Fortune*, Feb., 1949, p. 120.

** E. C. A., *France, Country Study*, Feb., 1949, p.11.

أجر الواحد منهم أوبعة دولارات ونصف اسبوعياً ، وحياة
المزارعين الذين لا يزيد متوسط دخل الواحد منهم على مائة دولار
سنوياً . *

ويتجلى لك اثر الاحتكارات الاميركية في هذا الفقر المدقع
حين تقارن ما بين نسب الأجور الاميركية ونسب الأجور
الاوروبية . ففي سنة ١٩٣٨ كانت اجور العمال البريطانيين
والألمان واهولنديين تبلغ نصف أجور العمال في الولايات المتحدة
تقريباً . حتى إذا دخلت سنة ١٩٤٩ صارت اجور العمال البريطانيين
لا تكاد تبلغ ربع اجور زملائهم الاميركيين ، في حين امت
اجور العمال الالمان خمس الاجور الاميركية ، واجور العمال
الهولنديين سدسها تقريباً . **

سوء الاقتصاد الوطني

يزعم الناطقون بلسان واشنطن أن من همهم ان يساعدوا
الدول الاوروبية على اثناء انتجها ، في حين ان اصحاب الرساميل
المالية الاميركية يهدفون ، في الحقيقة ، الى إضعاف جميع مرافق
الاقتصاد الوطني التي يمتلكها الاوروبيون انفسهم والقضاء عليها
- وقد نجحوا في ذلك نجاحاً جزئياً - لكي يسيطروا على السوق
الاوروبية سيطرةً كاملةً ويركزوا نشاط العمال الوطنيين في

* U. S. News and World Report, Mar. 31. 1950.

** اعتماداً على هذه الأرقام على منشورات مختلفة أصدرها المكتب
الاميركي لاحصاءات العمل ، ومظمة الامم المتحدة ، ومكتب الحكومة
العسكرية الاميركية في ألمانيا . [المؤلف]

العمل لحساب المشروعات التي تملكها الولايات المتحدة .

والواقع ان إغراق السوق الاوروبية بالمنتجات الزراعية قد وافقه حرمانها من المعدات الزراعية ابتغاء الحؤول دون نهوض الزراعة الاوروبية من كبوتها. فخلال السنة الاولى من مشروع مارشال طلبت البلدان الداخلة في المشروع ان تزودها الولايات المتحدة بمعدات زراعية تبلغ قيمتها ٣٧٠ مليون دولار*. فوافقت وزارة الخارجية الاميركية على إمداد بلدان المشروع بما قيمته ١٣٣ مليون دولار. أما ما سُحِنَ فعلاً من هذه المعدات حتى ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٩ فلم تزد قيمته على ٤٠ مليون دولار. في حين بلغت قيمة ما سُحِنَ الى بلدان مشروع مارشال من التبغ ١١١ مليون دولار** اي ثلاثة أضعاف قيمة المشحون من المعدات الزراعية تقريباً ، وذلك على حساب الاسواق الطبيعية للتبغ اليوناني والتurكي.

واقيت ضروب الصناعة التي يملكها الاوروبيون معاملةً مماثلة. ومن افضل الامثلة على ذلك محاولة وول ستريت القضاء على شركات الزيت الوطنية وصناعات الفحم التي يملكها الاوروبيون... وقد فصّلنا الكلام في الفصل الثاني على توسّع الشركات الاميركية في إنتاج النفط توسعاً كبيراً ، وبخاصة في الشرق الأوسط . ولكي تحقق هذه الشركات الربح الذي نطمح فيه من

* Committee of European Economic Cooperation, General Report, Vol. I. Paris, Sept., 1947 (in U. S. Dept. of State Publication 2930), p. 114.

** E. C. A., Paid Shipments, June, 30, 1949, p. 9.

وراء ذلك التوسّع تعيّن عليها ان تحاول السيطرة على المصافي
والاسواق الاوروبية ، وعلى حساب الشركات الوطنية ،
والبريطانية الهولندية منها بخاصة . والحق ان مستر ويلتش امين
صندوق شركة ستاندرد أويل وزملاءه الذين احتاجوا الى مبدأ
ترومان لكي يوطدوا مكانتهم في الشرق الأوسط كانوا في أمسّ
الحاجة الى مشروع مارشال لكي يستكملوا تلك المكانة في اوروبا .
ولم يُطلّ صيف سنة ١٩٤٨ حتى كانت شركات النفط الاميركية
تواجه ازمة حادة ناشئة عن الافراط في الانتاج . وعندئذ تصدر
مشروع مارشال لتجديتها وإسعافها .

ومن عجب ان الشركات الاميركية تباع نفط الشرق الأوسط
في اوروبا - وهو لا يقتضيها غير نفقات دانية نسبياً - بنفس السعر
المحدّد لنفط تكساس محققةً أرباحاً استثمارية فاحشة . ولكي تفيد
هذه الشركات اعظم الفائدة من اسواق مشروع مارشال المضمونة
فقد عملت على مضاعفة مصافها القائمة في اوروبا اربعة أمثال او يزيد .
وما هي إلا فترة حتى خضعت بلدان اوروبا القارية لسلطان
شركات النفط الاميركية المطلق . أما الاستعماريون البريطانيون
فقاوموا هذا السلطان وحاولوا ان يحدّوا ، في مطلع سنة ١٩٥٠ ،
من استيراد النفط الذي تملكه الراسمائل الاميركية . فما كان
من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وعلى رأسهم الشيخ توم
كونالي ، إلا ان شنوا حملة شعواء على « سياسة التمييز هذه . »
ليس هذا فحسب بل لقد اتخذت تدابير اقتصادية صارمة للانتقام
من البريطانيين ، فلم تمض غير اشهر معدودات حتى القى البريطانيون

السلاح على اساس الشروط التي فرضتها الشركات الاميركية .
إنهم لم يسمحوا للشركات الاميركية بأن تستثمر نحو ٥٠ ٪ من
اسواق المملكة المتحدة فحسب ، بل فتحوا في وجهها اسواق المنطقة
الاستوائية التي كانت من قبل موصدة دونها .

وكان لتدفق النفط الاميركي اثره التدميري السيء في صناعة
الفحم الأوروبية . ذلك ان أوروبا الفقيرة الى النفط تملك ثروة
من الفحم ضخمة . ومنطق الاشياء يقضي بان تقتصد البلدان الأوروبية
- اذا ما ارادت ان تستعيد استقلالها - في استعمال البترول
وتنفق جهداً جباراً للافادة الكاملة من مواردها الفحمية . ولكن
يخضاع أوروبا لمشروع مارشال قادة هذه القارة في طريق معاكسة
فاذا بالنفط يحل محل الفحم في سرعة لم يسبق الى مثلها من قبل ،
وإذا بانتاج الفحم في البلدان التي ينتظمها مشروع مارشال ينقص
في سنة ١٩٤٩ بنسبة ١٢ ٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧ *

الدولار يستعبد أوروبا

تذهب الدعاية الاميركية الى ان الغرض من « المعونة » التي
تقدمها الولايات المتحدة الى البلدان الأوروبية مساعدة هذه البلدان
على موازنة تجارتها الدولية وتحقيق استقرارها المالي . والواقع ان
الولايات المتحدة إنما تهدف من وراء ذلك الى ان تزيد في عدم
توازن تجارة أوروبا الدولية ، وتضعف من طاقتها المالية ،
وتفرض عليها سلطان الدولار ومصارف وول ستريت الكبرى .

* Monthly Bulletin of Statistics, Apr. 1950.

وإنما بدأ إضعاف الطاقة المالية الأوروبية في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية ، عندما أُكْرِهت انكلترة ، وفرنسة ، وهولندة وغيرها على أن تتنازل عن جزء من ذهبها وكثير مما تملك خارج بلادها من أموال ، مقابل حصولها على بعض الاسلحة والذخائر . وفي الوقت نفسه صادرت الحكومة الاميركية او الدول السائرة في ركابها الرساميل الالمانية واليابانية والايطالية الموظفة في الخارج ، في سهولة ويسر .

واتسع نطاق هذه العملية عندما زحفت الجيوش الاميركية على اوروبا في أواخر الحرب العالمية الثانية . ذلك ان الضباط والجنود الاميركيين شرعوا يبيعون سلع الجيش من المواطنين الاوروبيين الذين كانوا في أمس الحاجة اليها . وقد بيعت هذه السلع بأسعار فاحشة وبالنقد الاوروبي المتدهور ، ثم جاءت حكومة الولايات المتحدة فكافأت ابطال هذه السوق السوداء بأن حوات محصوهم الى دولارات على أساس من الاسعار الرسمية للعملة الوطنية . واكرهت حكومات اوروبا الغربية على أن تعترف بتلك المليارات من الدولارات ديناً للولايات المتحدة عليها . وبعد مدة من الزمن انتزعت الولايات المتحدة بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية الخطيرة مقابل شطب هذه « الديون » شطباً جزئياً .

وفي مدى سنة او سنتين من انتهاء الحرب استنفد كامل الاحتياطي الذي خلفه الاستعماريون الأوروبيون من طريق شراء السلع من الولايات المتحدة بأسعار باهظة ، في وقتٍ عدت فيه

أوروبا الإنتاج الصناعي الذي يساعدها على أداء قيمتها .
ووضع أمراء وول ستريت نصب أعينهم ، وهم يوزعون
قروض مشروع مارشال ، هدفاً رئيسياً هو الحصول دون إنهاض
أوروبا من كبوتها الاقتصادية . وليس يتري اثنان في ان تحقيق
التوازن في تجارة أوروبا الدولية يقتضيها ان تشتري أقل قدر
ممكّن من السلع من الولايات المتحدة ، واكبر قدر ممكن من
السلع من البلدان الاخرى ذات المصلحة في ان تشتري من أوروبا
الغربية بعض منتجاتها وأن تبيعها شيئاً من منتجاتها في وقت معاً .
ومع ذلك فقد أكرهت البلدان الأوروبية ، بعد ان اشترط عليها
منظمو القروض الاميركية ذلك ، على ان تشارك في مفاوضات
التعريفات والتجارة التي جرت برعاية الشركات الاحتكارية
الاميركية . وكانت النتيجة التي انتهت اليها هذه المفاوضات أن
اخذ الرأسماليون الاميركيون على شكل امتيازات ، اكثر من
ثلاثة اضعاف ما أعطوا ، وأن فتحت في وجوههم اسواق أوروبا
واسواق البلدان التي كان يسيطر عليها الرأسماليون الأوروبيون
في ما غير من سنين .

وأهم من هذا كله محاولة الاستعمار الاميركي القضاء على التبادل
التجاري في ما بين أوروبا الرأسمالية وأوروبا الاشتراكية . فبعد
ان انتزع الاستعمار الاميركي من يد المستعمرين الأوروبيين أجزاء
كبيرة من أسواقهم المستعمرة ونصف المستعمرة ، وانتزعت

* U. S. Dept. of State announcement in *New York Times*, Dec. 9, 1949.

حركات التحرر الوطني من ايديهم كثيراً من اسواقهم الآسيوية ، حاول هؤلاء المستعمرون الاوروبيون ان يعوضوا على أنفسهم من طريق التجارة مع الأسواق النامية في الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . ولكن احد الشروط التي انطوت عليها اتفاقيات مشروع مارشال اكره دول اوروبة الرأسمالية على ان تقاطع العالم الاشتراكي ، اقتصادياً ، محترماً عليها ان تبيع بلدان هذا العالم شيئاً ما ، من العقاقير الطبية إلى الآلات الكتانية ، بوصفها « مواد حربية » ! وعلى الرغم من ان كثيراً من الرأسماليين الأوروبيين وُفقوا إلى خرق هذا الحصار الاقتصادي الذي ضربته واشنطون على بلدان الكتلة الشرقية فقد استطعت السياسة الاميركية ان تعطل التجارة في ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربية تعطيلاً كبيراً وبذلك خطت خطوات واسعة في سبيل ما تسعى اليه من تقويض الاقتصاد الاوروبي الرأسمالي من أساسه .

والواقع ان احد التقارير الرسمية الصادرة عن منظمة الامم المتحدة ، سنة ١٩٤٨ ، هاجم أعنف الهجوم تدخل الولايات المتحدة في شؤون التجارة ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربية . وأنذر التقرير بأنه إذا لم تقلع الولايات المتحدة عن سياستها هذه فسيبقى الاقتصاد الاوروبي الوطني على حاله الحاضرة من العجز ، وستبقى بلدان اوروبة في حاجة ماسة الى المساعدات الخارجية * . ومن طريق استنزاف احتياطي الذهب الاوروبي ، وتعطيل التجارة الاوروبية الدولية نجح أمراء وول ستريت في إضعاف

* U. N. Economic Survey of Europe in 1949, p. 164, Geneva, 1949.

العملات الأوروبية . وبقي عليهم ان يضربوا ضربتهم التي تُفقد هذه العملات اعتبارها ، وتكرها على الخضوع للتخفيض المتواصل ، وتجعل الدولار وحده النقد المقبول في العالم الرأسمالي .

وفي نيسان ١٩٤٩ شنت الحكومة الاميركية هجوما على الجنيه البريطاني . وقد جاء في صحيفة التجارة ما نصه :

« ان الولايات المتحدة تتخذ من خطر انحطاط الاقتصاد الاميركي سلاحاً قوياً في ضعفها المتكرر على الدول الاجنبية لتخفيض عملاتها ... وقد جعلت من « ادارة التعاون الاقتصادي » وسيلتها لشن هجوما الأمامي على بلدان اوروبية الغربية أولاً . » *

وبعد ذلك بقليل قصد وينتروب آلدريتش ، وهو من رجال الـ « تشايس ناشيونال بنك » (روكفر) ، الى لندن ليقدم الى حكومة العمال الشروط الاميركية . ولم يكتف الاميركيون بالغاء نصف مشترياتهم من بريطانية فحسب بل اجتلوا دفع قيمة البضائع التي سبق ان ارسلت اليهم ايضاً . ولم يكذبوا شهر ايلول حتى اضطر البريطانيون الى تخفيض سعر الجنيه من اربعة دولارات وثلاثة في المائة من الدولار (٤.٠٣) الى دولارين وثمانين في المائة من الدولار (٢.٨٠) ، وتخفيض سائر عملات الكتلة الاسترلينية بالنسبة نفسها . و١٥ هي الفترة حتى خفضت معظم الدول الرأسمالية الاخرى قيمة عملاتها .

وفي سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان على المملكة المتحدة ان

* *Journal of Commerce*, Apr. 4, 1949.

تريد صادراتها بنسبة السدس عما كانت عليه قبل الحرب لكي
تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات * . اما في شباط
سنة ١٩٥٠ ، وبعد تخفيض سعر الجنيه ، فقد تعيّن عليها ان تزيد
صادراتها بنسبة الربع عما كانت عليه قبل الحرب لكي تغطي
نفقات الكمية نفسها من الواردات . **

وهذا التخفيض في سعر العملات الاوروبية جعل أجور
العمال الاوروبيين أرخص في حساب الدولار ، ورخص قيمة
المصانع التي يملكها الاوروبيون فصار في ميسور الرأسمالين
الاميركيين ان يشتروها في سهولة ويسر ، واضاع ما بقي من
ثقة الناس بالعملات الاوروبية .

* *Economic Survey of Europe in 1949*. p. 98.

** *Economist Records of Statistics Supplement*, Apr. 1,
1950. p. 299.

٨ . الولايات المتحدة تراث الامبراطوريات القديمة ...

إن محاولة استعمار أوروبا لا تقف عند حدودها القارية . فجميع الخطط الاميركية الرامية الى إخضاع الدول الأوروبية تشمل مستعمرات هذه الدول وأنصاف مستعمراتها أيضاً . وكل كسب يحققه الاستعمار الاميركي في أوروبا يضعف من النفوذ الأوروبي في المستعمرات . وعكس ذلك صحيح أيضاً . فكل كسب يتم لول ستريت في المستعمرات يجعل السيطرة على أوروبا الرأسمالية أسهل وأيسر .

والواقع أن الحرب العالمية الثانية كانت ، جزئياً ، صراعاً من أجل الاستيلاء على هذه المستعمرات واقتسامها من جديد . فاحتلت ألمانيا ، مؤقتاً ، أوروبا الشرقية وجزءاً من شمالي افريقية . واستولى اليابانيون مؤقتاً على عدة من اغني المستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية والاميركية في آسيا . وعند انتهاء الحرب حاول البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والاميركيون ان يستعيدوا مستعمراتهم السابقة ويضموا اليها غيرها على حساب خصومهم المغلوبين وعلى حساب بعضهم بعضاً . ومهما يكن من امر فلم تستطع اي من الدول الأوروبية

ان تسترجع امبراطوريتها السابقة بمرمتها . فكانت اميركة هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي عادت عليها الحرب بكسب ما وقد رأينا في الفصل الخامس كيف استغل امراء وول ستويت الحرب لانتزاع بعض القواعد العسكرية من حلفائهم والاستيلاء على كثير من اموالهم الموظفة في م وراء البحار . وقد ذهبوا الى ابعاد من ذلك ، في ما بعد ، على حساب حلفائهم السابقين وحساب اعدائهم في وقت معاً .

ولكن هذه التعديلات في ميزان القوى لم تكن ابرز نتائج الحرب واهمها . ذلك ان المكاسب التي تمت لحركة التحرر الوطني المناوئة للاستعمار هي اعظم شأنًا وابعد اثرًا .

فقد اخرجت هذه المكاسب من جريدة البلدان المنكوبة بالاستغلال الاجنبي عدداً من دول اوروبة الشرقية واحفل بلاد العالم بالسكان : الصين . وانقصت غنائم الاستعمار في عدد من البلدان التي لا يزال النضال المسلح دائراً فيها ، من مثل بورما والملايو (بريطانية) ، وفيات نام (فرنسا) ، وكوريا والفيليبين (الولايات المتحدة) . واذا كانت الاستعماريون البريطانيون والفرنسيون وغيرهم أعجز من ان ينهضوا بأعباء هذه المشكلات كلها فقد تقدمت الولايات المتحدة لسد الثغرة ورأب الصدع ، من طريق مشروع مارشال ، والحلف الاطلسي وغيرهما . إنها تقدم إلى حليفاتها مساعدة حاسمة ابتغاء توطيد الحكم الاستعماري او فرضه من جديد ولكنها تطالب مقابل ذلك بحصة كبيرة من الفينة الاستعمارية ، فتجانب مطالبها في سهولة ويسر .

والواقع ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الدولار يضعف من الاحتكار المالي الذي كانت اصحاب المصارف الاوروبية يفرضونه على مستعمراتهم وانصاف مستعمراتهم. وفي ختام عام ١٩٤٩ كانت اليونان، والنرويج، واسرائيل، ويران، ومصر قد انفصلت عن الكتلة الاسترلينية وطفقت تعتمد اعتماداً مختلف قوةً وضعفاً، على بيوتات المال النيويوركية. وهذا يعني نقصاً في دخل المصارف اللندنية، ويعني ان كثيراً من التسويات الدولية يجب ان تتم بالذهب او بالدولارات بدلاً من ان تتم بالاسترليني وغيره من العملات الأوروبية.

ثم ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الموارد الاميركية يضعف من احتكار الراسمائل المالية الاوروبية للتجارة وتوظيف الاموال في المستعمرات. وقد ظهرت هذه النزعة، اول ما ظهرت، خلال الحرب العالمية الثانية عندما اضطرت الدول الاوروبية الى الاخذ بمبدأ «الحرية والمساواة» في الحصول على المواد الأولية كشرط من شروط قانون الاعارة والايجار. ونظراً لتفوق الطاقة الاقتصادية الاميركية لم يكن في ميسور الدول الاوروبية ان تحدد من مزاحمة الاميركيين لمواطنيها إلا بأقامة حواجز خاصة. وقد اتخذت عملية تحطيم هذه الحواجز شكلاً خاصاً عقب الحرب العالمية الثانية.

وانطوت اتفاقيات مشروع مارشال على امتيازات استعمارية ايضاً. فقد ضمنت للأفراد الاميركيين وللشركات الاميركية الحق في الاستفادة من المواد الأولية التي تكثر في المستعمرات على قدم

المساواة مع ابناء الدولة الاوروبية المستعمرة أنفسهم . وواضح ان في هذا الوضع والارباح الفاحشة التي عاينها على اصحاب الرساميل الاميركية ما زاد في تبعية الاقتصاد الاوروبي لول ستريت وخضوعه لسلطانه .

وليس من ريب في ان عجز الدول الاجنبية عن كبت حركة التحرر الوطني من غير مساعدة اميركية وضع في يد واشنطن سلاحاً من أقوى الاسلحة وأمضاه . فبريطانية وفرنسة وهولندة محتاجة في حروبها الاستعمارية الى المساعدة الاميركية المالية ، والى الاسلحة والذخائر الاميركية ، واخيراً الى القوات المسلحة الاميركية . ولكن الاستعمار الاميركي لا يستطيع هو ايضاً ان يكسب هذه الحروب وحده . ومن هنا فن ستراتيجية واشنطن لا ترمي الى الاستيلاء المباشر على جميع هذه المستعمرات في الحال . وانما ترمي الى إبقاء اجزاء واسعة من العالم المستعمر تحت سلطة الجيوش الاوروبية الاسمية في حين تحول الرأسماليين الاوروبيين الى شركاء ثانويين لول ستريت في هذه المستعمرات ، وفي اوروبا نفسها ايضاً .

مبدأ ترومان والشرق الاوسط

عندما تحدث ليو ويتش عن ضرورة تصدير الولايات المتحدة لزعامة العالم كله سارعت الحكومة الاميركية الى إثبات زعامتها هذه في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالبتروول . ففي آذار سنة ١٩٤٧ أعلن الرئيس « مبدأ ترومان » مؤكداً ان حكومته

ستدخل ، في أيما بقعة من العالم ، « لتساعد الشعوب الحرة على تقرير مصيرها بطريقة الخاصة » ... ولكن تطبيق هذا المبدأ ما لبث ان اظهر مقدار ما انطوى عليه من تدليس وتضليل . فقد طلب ترومان اعتمادات ضخمة لتأييد الحكومتين اليونانية والتركية ، وكتلها ديكتاتورية فاشستية !

وذهل الشعب الاميركي لدن سماعه بهذا التطبيق الأولي لمبدأ ترومان . ذلك ان الفظائع التي ارتكبتها الجنود البريطانيون والقوات الفاشستية اليونانية ضد الشعب اليوناني كانت قد أثارت اعظم الاستياء في الولايات المتحدة . وفي سنة ١٩٤٥ كان مستر ستاينبيوس ، وزير الخارجية آنذاك ، قد اعلن حبيدة الولايات المتحدة بين القوات الشعبية اليونانية من جهة ، والقوات البريطانية والملكية الفاشستية من جهة اخرى . حتى اذا اثبتت مسألة تدخل الولايات المتحدة في اليونان ، أول مرة ، إثارة علنية قبل بضعة اسابيع من إذاعة مبدأ ترومان أصغر نفر من زعماء مجلس الشيوخ الاميركي ، على ضرورة إحجام الولايات المتحدة عن مد يد المساعدة الى الملكية اليونانية أو تأييد السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . وابتدت الصحافة عطفها على القوات الشعبية باكثر مما أبدت عطفها على الملكيين . لقد نظر الاميركيون الى فظائع الرجعة الفاشستية في اليونان على انها جزء من سياسة بريطانية الاستعمارية التي يتعين على الولايات المتحدة أن لا تشارك فيها .

والواقع أن «مبدأ ترومان» يمثل بدء تقدم الاستعمار للاميركي الى احتلال مركز الصدارة الاقتصادية والعسكرية في الشرق

الايوسط بكامله .

فقبل اعلان مبدأ ترومان كانت القوات البريطانية المسلحة تقوم بدور المدافع عن المصالح البريطانية وعن المصالح الاميركية النامية في الشرق الاوسط . ولكن الاستعمار البريطاني لم يعد في وسعه ان ينهض بهذه المهمة . ففي سنتين اثنتين أنفقت بريطانيا ٣٤٨ مليون دولار في اليونان . ولكن لا الدولارات ، ولا الثانية آلاف جندي بريطاني المقاتلون في اليونان ، ولا القوات الملكية الفاشستية المزودة بالسلاح الانكليزي ، ولا موارد « الاونرا » الاميركية استطاعت ان تقف تيار الحركة التحررية الوطنية العرم .

وفي نهاية شباط اعلنت الحكومة البريطانية حكومة الولايات المتحدة ان إخضاع الشعب اليوناني قد أعجزها وأعيائها ، وانها في حاجة الى مساعدة الولايات المتحدة في ذلك . فلم يكن من الاستعمار الاميركي الا ان اعلن استعداداه لحماية مصالحه الخاصة حيثما تقضي الضرورة ، مضاعفاً ارباحه الفاحشة من طريق الحلول محل بريطانيا في المراكز الاستراتيجية ذات الخطر .

ومن وجهة النظر العسكرية تهيمن اليونان وتركيا على ثروات النفط الضخمة الكامنة في الشرق الاوسط كما تهيمن المواقع العسكرية الاميركية في بحر الكاريبييان على ثروات النفط وموارد الاغذية في الاميركيتين الوسطى والجنوبية .

وفي ٥ آذار سنة ١٩٤٧ وضع مراسل النيويورك تايمس ، سولز بيرجر ، النقاط على الحروف فقال :

« إن مصالح الولايات المتحدة في اليونان ليست مجرد عواطف .

فاليونان تتحكم في ستراتيحية المتوسط الشرقي . ولو قد أصبحت اليونان شيوعيةً إذن لانكشف جناح تركية ، سياسياً ، ولم يعد في ميسورها ان تقاوم الضغط الروسي العنيف . وبدون تركية تنهار مقاومة إيران في الحال .

« إن لولايات المتحدة مصالح اساسية في الشرق الاوسط ، لأنه في تلك المنطقة تقوم المملكة العربية السعودية ، وفي المملكة العربية السعودية من النفط ما قد يفوق الاحتياطي الذي تملكه الولايات المتحدة . » *

ولكن اليونان وتركية ليست « القشرة الصلبة » التي تحمي امبراطورية الشرق الاوسط النفطية فحسب ، ولكنها قاعدتان حربيتان لفتوح جديدة ايضاً ، على ما يؤخذ من تصريح ادلى به المستر فورستال ، وزير الدفاع ، امام لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ قال :

« إن المنطقة المتوامية الاطراف ما بين جبل طارق والمحيط الهندي ذات اهمية حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة ... أعني أنها حيوية من ناحية عسكرية اولاً ، وحيوية من ناحية اقتصادية الى حد ما في الدرجة الثانية . » **

وهكذا تخلت الامبراطورية البريطانية عن « خطها الحيوي » التقديدي للامبراطورية الاميركية ، ولاغراض حربية في الدرجة

* New York Times, Mar. 5, 1947.

** Investigation of the National Defence Program, Hearings, Special Committee U. S. Senate, 80th Congress, Part 41, p. 25290, 1948.

الاولى .

وكحصيلة ثانية by-product لهذه الاعتبارات الواسعة حوّلت بلاد اليونان الى معسكر اعتقال للشعب اليوناني ، والى مصدر من مصادر الربح الفاحش للشركات الاميركية .

والواقع ان هذه الشركات حكّرت السوق اليونانية حِكْراً حقيقياً ، وحكّرت جميع الاعمال الهندسية الضخمة التي أجريت في اليونان بوصفها جزءاً من الحملة العسكرية . فسيطرت « شركة التلغون والتلغراف الدولية » على نظام المواصلات ؛ وهيمنت « شركة التبغ الاميركية » على أهم مورد من موارد البلاد : التبغ ؛ وحكّرت شركة T.W.A الخطوط الجوية ؛ وتولت « شركة أولن » مهمة إرواء أثينا وبيروس بمياه الشفة . *

ورفعت الشركات الاميركية نسبة استغلال اليد العاملة اليونانية الى المستوى الاستعماري . فبينما نجمّت الاجور عملياً زادت نفقات المعيشة ١٣٠٠ ٪ في ما بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ليس هذا فحسب بل لقد حلت نقابات العمال وحلّ الحزب الشيوعي بصورة رسمية .

ولكن موارد الولايات المتحدة كلها عجزت عن ان تكسب للفاشية اليونانية نصراً معجلاً . واخيراً حلت الهزيمة بالقوات الشعبية ، في خريف سنة ١٩٤٩ ، وكان ذلك بمساعدة قوات تيتو اليوغوسلافية .

* Gouvernement Démocratique Provisoire de Grèce,
Deuxieme Livre Bleu, p. 23, 1949.

وفي خلال المدة القصيرة التي استغرقها هذا الصراع (١٩٤٧ - ١٩٤٩) انفتحت حكومة الولايات المتحدة ٧٩٧ مليون دولار لاختضاع الشعب اليوناني* تضاف الى ما سبق ان أنفقه البريطانيون وأنفقته « الاونزا » من أجل الغرض نفسه من قبل .
ولكن الولايات المتحدة لم تكن بما تم لها في تركيا واليونان من سلطان ومكاسب . فلم تكد دولة اسرائيل تظهر الى الوجود حتى ختم الاستعمار الاميركي الى امبراطوريته الواسعة سياسياً واقتصادياً .

فتح افريقية

لم يسهم رأس المال الاميركي الماني، قبل الحرب العالمية الثانية، بغير نصيب ضئيل في استغلال الشعوب الافريقية . والواقع ان حصة بالمائة من تجارة افريقية الخارجية كانت مع الولايات المتحدة، وان ثلاثة في المائة من الرساميل الاجنبية الموظفة في افريقية كان يسكنها مواطنون اميريكيون ، ليس غير . وكان القسم الاكبر من الأموال الاميركية العاملة في افريقية والبالغة ٣٠٠ مليون دولار موظفاً في مشروعات شركة فيرستون المطاط ، في ليبيريا ، وفي بعض شركات النحاس في روديسيا وجنوبي افريقية .

ولكن امراء وول ستريت المتصدين للسيادة على العالم ما كانوا يسمحوا باستمرار هذا الوضع ، خاصة وأن افريقية تعدّ

* Survey of Current Business, Mar. 1949, p.20; Apr. 1950, p. 20

المتفد الاول للمبارات الدولارات من رأس المال الفائض، والمصدر الجديد الأفضل لمجموعة كبيرة من المواد الحربية الاستراتيجية .

وبينما يتعاون الرأسماليون الاميركيون والاوروبيون ويوحدون ما بين رساميلهم لاستغلال إفريقيا نجد ان مشاركة اميركة في هذا الاستغلال تتعارض والمطامع الاوروبية ، على العموم ، والبريطانية على الخصوص . ذلك أن الاقطاب من رجال المال والاعمال البريطانيين يأبون مقاسمة منافسهم الاميركيين تلك الحثورات العظيمة التي يجنونها من آخر معقل بقي في ايديهم ، إلا على كره منهم واضطرار . وهم على الرغم من خضوعهم للضغط الاميركي ينفقون غيرة الجهد لابطء الغزو الاميركي لافريقية وصد تياره بمختلف الوسائل .

واتخذت الولايات المتحدة تدابير جديدة للقضاء على هذه المقاومة اثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما مكنتها الفرصة من انشاء قواعد عسكرية وصلات تجارية في بلدان افريقية مختلفة . وفي ما بين سنة ١٩٣٨ و سنة ١٩٤٨ قفزت تجارة الولايات المتحدة مع افريقية من ١٥٠ مليون دولار ، الى ١٢٠٠ مليون دولار ، وهذا الرقم الاخير يمثل نحواً من ١٥٪ من تجارة افريقية الخارجية ككل .

واليوم يضع مشروع مارشال وبرنامج البقطة الرابعة اسلحة جديدة ماضية في ايدي امراء وول ستريت يستعينون بها على فتح افريقية . والحق ان جزءاً من اموال مشروع مارشال يصرف لتغطية نفقات الرواد

* Foreign Commerce Weekly, Mar. 6, 1950; Economic Survey of Europe in 1948, insert table; U.N. Statistical Yearbook, 1948, table 132

والمكتشفين الذين توجههم الولايات المتحدة ، وفقاً للتقليد الاستعماري العريق ، الى افريقية لكي يمهّدوا السبيل لشركات التعدين والجمّلات العسكرية . وفي تموز سنة ١٩٤٩ صار في ميسور « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تذيب في الناس : « ان الخبراء الاميركيين ، ومن ورائهم مساعدات مشروع مارشال ، يسبرون اليوم غور افريقية من جبال الاطلس حتى رأس الرجاء الصالح بحثاً عن الثروة الزراعية والمعدنية . » *

واقتضت الولايات المتحدة ثمن ذلك اتفاقات خاصة سمحت لرساميل الاميركية بالعمل في افريقية . جاء في تقرير لـ « ادارة التعاون الاقتصادي » ايضاً :

« لقد فتحت الآن تلك الابواب التي كانت موصدة في وجه الرساميل الاميركية ، فهي تسهم اليوم في إنتاج الرصاص في افريقية الشمالية الفرنسية ، وفي إنتاج الصفيح في الكاميرون الفرنسي ، وفي إنتاج الرصاص والزنك في الكونغو الفرنسي ، وفي إنتاج النيكل في كاليدونية الجديدة ، وفي إنتاج الالومنيوم في سومطرة . ومن الصفقات النموذجية التي عقدتها الولايات المتحدة اخيراً تلك التي قضت بان تقدّم « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً معينة الى احدى شركات إنتاج الرصاص المراكشية (Mines des Zelligja) في حين تشتري شركة نيومونت الاميركية للتعدين حصّة

* *Financial Times*, London, July. 9, 1949.

** احدى جزر المحيط الهادي ، وتقع شرقي استراليا . [المغرب]

*** E. C. A., *A Report on Recovery Progress and United States Aid*, p. 231, Feb. 1949.

في الشركة وتدير اعمالها .

وأفاد وول ستريت من تخفيض سعر العملات الاوروبية سنة ١٩٤٩ في انتزاع امتيازات استثمارية جديدة . والواقع ان المؤتمر المالي البريطاني الاميركي الكندي المنعقد بواشنطن في ايلول سنة ١٩٤٩ ، أقرّ ضرورة التعجيل في انشاء لجنة من اصحاب المصارف البارزين في تلك البلاد لتسريع توظيف الرساميل الاميركية في المستعمرات البريطانية .

وبعد شهرين اثنين انشئت لجنة بمائة من ابرز اصحاب المصارف الفرنسيين والاميركيين « لتيسير تطوير البلدان التي يتألف منها الاتحاد الفرنسي في ما وراء البحار » ... *

إن اصحاب المصارف ليسعون الى تكثيف استغلال الشعوب الافريقية . من أجل ذلك يتعين عليهم أن ينشؤوا الطرق والسكك الحديدية والموانيء التي تمكنهم من نقل مقادير ضخمة من المواد الأولية . وهذا كله خليق بان يزيد في حصة وول ستريت ايضاً لان المراكز الاوروبية يعوزها المال الضروري لتنفيذ هذا البرنامج فهي مضطرة الى قبول المساعدة الاميركية .

وفي خلال شهر حزيران ١٩٥٠ قدمت « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً ضخمة لشراء معدات اميركية لانشاء الطرق ابتغاء استعمالها في الكونغو البلجيكي ، وثلاث من المستعمرات الافريقية الفرنسية ، وخمس من المستعمرات الافريقية البريطانية . وليست هذه غير بداية . فقد وضعت الخطط لانشاء شبكة من

* *Journal of Commerce*, Nov. 30, 1949.

السكك الحديدية واسعة . والخبراء الاميركيون يُعدّون العدة
لأنشاء خط حديدي يمتدّ على الف من الاميال ويصل ما بين
روديسيا ، وتانكانيكا ، وكينيا والشايطي ، الافريقي الشرقي .
وتعتزم « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تنفق نحو مليار دولار
على تطوير وسائل المواصلات جنوبي الصحراء الكبرى . * ليس
هذا فحسب ، بل لقد اقترح احد الشيوخ الاميركيين (السناتور
جونسون) ان ترصد حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من
الدولارات لفتح افريقية من طريق برنامج النقطة الرابعة . ومما يلفت
النظر ان مختلف البرامج والخطط الاميركية المتصلة بافريقية
لا تكلف نفسها عناء التظاهر ، مجرد التظاهر ، بالعمل على خدمة
الشعوب الافريقية البائسة .

ومهما يكن من امر فقد وفقت الولايات المتحدة الى ان
توظف ، حتى الآن ، وساميل مهمة جداً في افريقية ...
وقد تمّ جزء كبير من التوسع الاميركي في جنوبي افريقية
وروديسيا من طريق عدد من الشركات الانكليزية والاميركية .
واقدم هذه هي « الشركة الانكلو اميركية » التي اتسعت ممتلكاتها
اتساعاً عظيماً منذ الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٦ ' شكّل اندغام رأسمالي آخر ، لإعادة تقسيم
افريقية باسم « شركة توظيف الرساميل الاميركية الانكلو
ترانسفالية » . ولم تدخل سنة ١٩٥٠ حتى كانت هذه الشركة

* Crown Colonist, Apr. 1950, in New Africa. Capetown
May-June 1950.

الدولية قد امتلكت حصصاً ضخمة في عشرين الشركات الكبرى في جنوبي افريقية، بالإضافة الى حصص أصغر من ذلك في شركات أخرى كثيرة .

وبمعمونة قروض مشروع مارشال ، تعمل شركة المعادن والمواد المعدنية ، وهي تمثل اندغام الرساميل الاميركية بالرساميل الفرنسية ، في استخراج الحديد من مناجم كوناكري ، في افريقية الغربية الفرنسية . وفي سنة ١٩٤٧ بسط اصحاب الرساميل الاميركيون سيطرتهم على شركة الاطلس المراكشية للتعدين التي تنعم بشبه احتكار لمناجم الرصاص في جبال الاطلس . كما كسبت شركة نفط الخليج (ميلون) حصة تبلغ ٦٥ ٪ في شركة فرنسية تملك امتيازاً للنفط في تونس .

ليس هذا فحسب بل لقد فرضت « شركة الفولاذ الجمهوري » سيطرتها على مناجم الحديد في ليبيريا مشاطرة شركة فايرستون في امتلاك تلك الجمهورية الدمية ، وانتزعت شركة نفط الخليج امتياز البترول في موزامبيك ، المستعمرة البرتغالية القائمة على الساحل الشرقي الجنوبي من افريقية ، كما حصلت شركة سنكلير للنفط على امتياز بتولي في الحبشة .

والكثرة الكبيرة من الأورانيوم الذي تنتجه اعظم مناجم هذا المعدن في الدنمارك ، منجم شينكولوبوي Shinkolobwe في الكونغو البلجيكي ، تذهب اليوم الى الولايات المتحدة .

ولن يقضي طويل وقت حتى يؤدي احتكار وول ستريت لهذه المادة المهمة وتزايد نصيبه من تجارة الكونغو البلجيكي الى امتلاك

جزئي لمناجم الكونغو الغنية .

والحق ان غزو الرساميل الاميركية الافريقية ينتقض اوضح
التنقض اسطورة « نزعة الولايات المتحدة للاستعمارية » . ففي كل
مكث من هذه القارة تدفع الشركات الاميركية الى العمال
الافريقيين الاجور المعتادة التي تتراوح ما بين العشرين سنناً والدولار
الواحد يومياً ، وتساند اكثر الحكومات الاستعمارية الافريقية
تعتسفاً وجوراً .

ولكن شعوب افريقية لم تعد عاجزة أو غير منظمة . ذلك ان
نقابات العمال المناضلة ، وكثير منها منتظم في اتحاد النقابات
العالمي ، لتثير اليوم وعياً صحيحاً عند العمال الافريقيين . وإن في
الاضرابات التي يقوم بها هؤلاء العمال لتعبيراً صارخاً عن رغبتهم في
حياة جديدة من الحرية والكرامة . . . *

لبس هذا فحسب . بل إن القبائل المتناثرة أخذت تتحد في أمة
إفريقية عملاقة تستغرق معظم اجزاء القارة . وقد عجزت عمليات
القتل الجماعي التي يقوم بها البريطانيون والفرنسيون وقوات افريقية
الجنوبية المسلحة في مدغشقر ، وشاطيء الذهب ، وروديسيا ،
ونيجيريا ، وجنوبي افريقية ، عن كبت هذه الحركة وصدّ تيارها .

مستقبل الاستعمار في آسيا

حاول الاستعمار الاميركي ، طوال خمسين سنة ، ان يفرض
سيطرته على التجارة الصينية . وفي سنة ١٩٠٠ اتخذت حكومة

* Alpheus Hunton in *Masses and Mainstream*, Jan.
1949, N. Y.

الولايات المتحدة من الفيليين قاعدةً عسكرية وشاركت في القضاء على ثورة البوكسر (وهي انتفاضة صينية في وجه الاستعمار) ، ثم أعلنت سياسة « الباب المفتوح » التي تسمح لها بأخذ نصيبها من الغنيمة . . . وفي الخمسين السنة التي تلت ، أبدت الشركات الاميركية نشاطاً بارزاً في الصراع من اجل الامتيازات ، ولكن معظم هذه الجهود تكسرت ، برغم تأييد وزارة الخارجية الاميركية لها ، على صخرة السلطان البريطاني والياباني المتفوق في الشرق الاوسط .

وبعد الحرب العالمية الأولى تعاظم نفوذ الولايات المتحدة في الصين وأخذ مواطنوها يتلون في تلك البلاد دور السادة الاجانب ، شأن البريطانيين والفرنسيين واليابانيين . كذلك خفرت سفنها الحربية نهر اليانغتسي وساعدت على قمع ثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ . وازدادت الرساميل الاميركية الموظفة في الصين ولكنها ظلت أقل من الرساميل البريطانية واليابانية الموظفة فيها .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية فمنحت الولايات المتحدة تفوقاً عسكرياً مطلقاً على الاستعمار البريطاني والياباني في الصين . كانت القوات الاميركية تحتل المرافيء ، وكانت القاذفات الاميركية تربض في المطارات ، وكان الضباط الاميركيون يقودون جيوش شيانغ كاي تشيك . ليس هذا فحسب ، بل لقد غدت الخزينة الصينية تعتمد اعتماداً كلياً على الخزينة الاميركية ، وصار في ميسور الموظفين الاميركيين ان يقرروا ما الذي ينبغي للصين ان تشتريه ، وما الذي ينبغي لها ان تبيعه ، وبأية شروط .

وهكذا برزت سياسة الباب المفتوح نفسها ، آخر الامر . فقد
فُتحت ابواب الصين على مصاريحها في وجه الرساميل الاميركية
وأوصدت من دون المنافسين جميعاً .

ولكن النصر جاء متأخراً جداً . ذلك لان الشعب الصيني كان
قد بنى قوة تحرورية تكفل له الفوز على الاستعمار والمستعمرين
جميعاً .

والحق ان حكومة الولايات المتحدة أنفقت ستة مليارات
دولار للاحتفاظ بسيطرتها على الصين ، ولكن عبثاً .

وطوال سنة ونصف بعد استسلام اليابان دبرت الحكومة
الاميركية قوات شيانغ كاي تشيك وأمدته بالسلاح ، في حين كان
الجنرال مارشال يفاوض القوات الشعبية الديموقراطية ...

وفي نهاية سنة ١٩٤٦ أتمت الولايات المتحدة استعدادها لحوض
غمار الحرب في الصين ، فقطعت المفاوضات وقصد الجنرال مارشال
الى واشنطن حيث أُسندت اليه وزارة الخارجية . وما هي إلا
فترة حتى دُشن مبدأ ترومان بالهجوم على الشعب اليوناني في
اروپة ، والهجوم على الشعب الصيني في آسية . واذا كان مبدأ
ترومان قد حاز في اليونان نصراً غير واهن فان اخفاقه النهائي
الحاسم في الصين كشف هذا النصر الهزيل كسفاً كاملاً . ذلك ان
الشعب الصيني انزل بحكومة شيانغ كاي تشيك هزيمة قاصمة أفقدت
ممثلي الرساميل المالية الاميركية صوابهم .

ومنذ ذلك الحين ونحن نتذكر في العوامل التي أدت الى
خسارتنا للصين . ومما يلفت النظر ان الكتاب الابيض الذي أصدرته

وزارة الخارجية الاميركية عن الصين يسلم بأن هزيمة شيانغ كاي تشيك جاءت تعبيراً عن ارادة الشعب الصيني - «ثرة القوى الصينية الداخلية التي حاولت هذه البلاد ان تستميلها ولكنها لم توفق الى ذلك .» * اما نظام الكومنتانغ فينص الكتاب الابيض على « ان زعماء أثبتوا عجزهم عن مواجهة الازمة التي واجهتهم ، وأن قواه فقدت إرادة القتال ، وأن حكومته خسرت تأييد الشعب . » **

وأدت الحرب العالمية الثانية الى تحرير مستعمرات آسية الجنوبية الشرقية التي سبق لليابانيين ان احتلوها ، تحريراً جزئياً مؤقتاً . ذلك بأن قوات التحرر الوطني التي يقودها الشيوعيون ساعدت على هزيمة الجيوش اليابانية ، وأقامت بعد الحرب حكماً مدينياً .

ولكن الاميركيين والبريطانيين أعدوا العدة لفرض الحكم الاستعماري من جديد على تلك الأصقاع ، حتى في خلال الحرب العالمية الثانية . فقد أرسلوا مقادير هائلة من الاسلحة الى الهند واوستراليا . ولم تستعمل الكثرة المطلقة من هذه الاسلحة ضد اليابانيين ولكنها ادخرت لحرب مؤجلة ضد الشعب . والواقع ان عشرات الالوف من الجنود الهولنديين والفرنسيين قد دربوا في الولايات المتحدة وفي القواعد العسكرية الانكليزية الاميركية الواقعة ما وراء البحار ، للاشتراك في الحملات الاستعمارية المقبلة . وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها توزع

* U.S. Dept. of State, *United States Relations with China*, p. XVI, 1949.

** المصدر السابق نفسه ص XIV .

الاستعماريون مهمة سحق حكومات الشعب الناشئة في الشرق
الاقصى . فتولى الجيش الاميركي هذه المهمة في الفيليبين و كوربا؛
وتولاها البريطانيون في الملايو ، وكذلك في اندونيسيا ريثا أتم
الهولنديون استعدادهم للنهوض بعبء المسؤولية هناك ؛ أما فرنسا
فصبت جام غضبها على الفيات نام .

وقد اتسمت هذه الحملات الاستعمارية جميعاً بأقصى الوحشية
وتولت حكومة الولايات المتحدة امر تمويلها ومدتها بالاسحة
والذخائر وتأيدتها تأييداً ديبلوماسياً .

ولكن ذلك كله لم يتم من غير ما مقابل . فعقب كل مساعدة
تبذلها حكومة الولايات المتحدة في إعادة استعمار آسية - بخطو
وول ستريت خطوة جديدة في سبيل تحقيق مطالبه التقليدية التي
تتلخص في سياسة الباب المفتوح ، فيحطم احتكار المالكين
السابقين ويضمن لأمرائه نصيباً من الغنيمة .

ولكن مكاسب الاميركيين في آسية - باستثناء اليابان -
تظل ضئيلةً بالقياس الى مكاسبهم في بقع العالم الأخرى .
والواقع ان موجة التحرر الوطني التي تغمر تلك القارة تهدد
المصالح الاميركية بأعظم الخطر . يدرك على ذلك ان شركة فورد
لصنع السيارات صرفت النظر ، مؤخراً ، عن انشاء ما كانت
تعتزم انشاءه من إقامة مصنع لتجميع السيارات في سنغافورة
بسبب من « الاحوال السياسية غير المستقرة » . اذ ما الفائدة من
تشديد المصانع ، وحفر المناجم ، والعناية بالمزارع اذا كان الشعب
سيصادرها في وقت قريب ؟ إن كل هم الاستعماريين الآن

هو ان يعيقوا ذلك ما استطاعوا الى الاعاقة سيلاً .

وفي غمرة من خيبة الأمل يعتزم الاستعمار الاميركي استعمال القوة في حرب يشنها على آسية بكاملها . فهام البريطانيون يكادون يرزحون ، عسكرياً ومالياً ، تحت عبء الكفاح في الملايو . وها هي واشنطن تأخذ أهبتها لذلك اليوم الذي ينفض فيه البريطانيون أيديهم منها ، فعلمهم في اليونان ، ويدعون الاميركيين للنهوض بـ « عبء الرجل الابيض » .

ومثل هذا الوضع يكاد ينشأ في الهند الصينية أيضاً . ذلك ان المستعمرين الفرنسيين عجزوا عن إخضاع الشعب بمئة وخمسين الفاً من القوات المسلحة ، ونصف مليار دولار من النفقات سنوياً . فوجهوا وجههم شطر الولايات المتحدة يلتمسون منها السلاح والمال . وهنا تقدم دين اتشيسون « لاسترهان » الهند الصينية فوافق على تقديم السلاح لاختضاع الشعب الهندي الصيني ولكن بشروط . وهكذا قصدت البعثات العسكرية الاميركية وبعثات مشروع مارشال الى الهند الصينية لتشرف على تقديم المساعدات وتراقب طرق الافادة منها . وعلاقة هذه البعثات منحصرة مبدئياً بالضباط الفرنسيين ولكنها تتصل ايضاً اتصالاً مباشراً بـ « باوو داي » الذي باع نفسه للفرنسيين وبذلك يتعاضم « استقلال » باوو داي - يعني ان اعتماده على المستعمرين الفرنسيين يتناقض ، ولكن اعتماده على المستعمرين الاميركيين يتزايد تبعاً لذلك .

وفي هذه المحاولة اليائسة التي تقوم بها الولايات المتحدة لوقف

تيار الوطنية العارم في آسية ، يُراد لليابان ان تمثل دوراً شبيهاً بدور المانية في اوروبة . وليس ذلك عجيباً ، فاليابان ابعد الاقطار الآسيوية إمعاناً في التصنيع ومن هنا فهي اكثرها ملائمة لكي تكون ترسانة او داراً للصناعة arsenal ؛ والصلات بين الرساميل المالية الاميركية واليابانية كانت وثيقة جداً قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترت شركات وول ستريت كثيراً من اسهم التروستات اليابانية منذ ذلك الحين . وهذا ما يفسر لنا نزعة الولايات المتحدة إلى توطيد اركان احتلالها لليابان ، وإحالة أجلها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، في حين تعمد إلى إعادة تسليح العسكريين اليابانيين وتعزيز سلطانهم . وقد عبّر م . ن . روي M. N. Roy عن مخاوف الشعوب الآسيوية جميعاً حين قال : « من الامور المفروغ منها في طوكيو اليوم ان الجيوش اليابانية سوف تخارب في كل مكان ، حالما تندلع نار الحرب الجديدة ، بوصفها قوات مرتزة تعمل لحساب الاميركيين . » *

غزو كوريا

وفي حزيران ١٩٥٠ بدأت في كوريا مرحلة جديدة من مراحل التدخل الاستعماري الاميركي في آسية ، أعني استعمال القوات الاميركية المسلحة في الهجوم على الشعوب الآسيوية الناهضة . ففي النصف الجنوبي من كوريا الذي احتلته القوات الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية كان المستعمرون قد اقاموا حكومة من اكثر

* National Standard, Bombay, Oct. 6, 1950.

الحكومات رجعيةً واستسلاماً في آسية كلها : حكومة سينغمان ري الذي مكّن ضباط الجيش الاميركي ورجال الشركات الاميركية من كل ما في بلاده من مرافق وثروات ، ونظم جيشاً اقطاعياً لفضاء تلى حركة الشعب الكوري الوطنية .

وبلغ من كراهية الشعب الكوري لنظام سينغمان ري ان هُزم حزبه ، رغم الارهاب ورغم قانون الانتخاب الفاسد ، هزيمة منكرة في انتخابات نوار سنة ١٩٥٠ * ، ولكن ري تحدى المجلس الجديد واحتفظ بالسلطة الديكتاتورية **. وقبيل برلمان كوريا الجنوبية الدعوة التي وجهها اليه برلمان كوريا الشمالية لبحث فكرة اندماجهما وتشكيل حكومة موحدة . وهكذا انضج لول ستريت

* افق سينغمان ري تسعين من مرشحي خصومه في غياب السجين وسمح لاقل من ثلاثين بالمائة من الشعب بالتصويت . ومع ذلك فلم ينجح غير ٢٨ من مرشحيه مقابل ١٦٢ من مرشحي خصومه وكانت كثرتهم تؤيد الاتحاد السامي مع كوريا الشمالية . [المؤلف]

* * * ويبدو ان سينغمان ري يمثل اليوم الرواية نفسها بمناسبة قرب انتخابات الرئاسة . ففي ٧ حزيران ١٩٥٢ كتبت " الديلي تلغراف " تصف الوضع في كوريا الجنوبية قائلة :

" عندما يصل الورد الكسندر والمستر لويد الى كوريا سيريان بأمر العين هذه الحالة المؤسفة التي وصلت اليها كوريا الجنوبية ... وتواجه هيئة الامم مشكلة محيرة بسبب اعلان سينغمان ري الاحكام العرفية واعتقاله خصومه السياسيين (١٢ نائباً) واستنزائه المكشوف بالدستور ومناورات الديكتاتورية وتهديده بسحب جنوده من خطوط القتال وعدم مبالاته بنصائح حلفائه ... ومهما يكن من امر فان الحلفاء لم يتحملوا ما تحملوه في تلك البلاد مدة سنتين ليمسوا في النهاية وسيلة لتحقيق الاطمئنان الديكتاتورية ... » [العرب]

ان الحكومة الدُمية التي اقامها امست معدودة الايام . فلم يكن من الاميركيين الا ان هرعوا لانتقاذ سينغمان ري من طريق اغرائه بالعدوان على جمهورية الشعب الديموقراطية في الشمال .

والواقع ان الجنرال روبرتس ، رئيس البعثة العسكرية الاميركية في كوريا صرح قبل هجوم قوات سينغمان ري على كوريا الشمالية بثلاثة اسابيع ، قائلاً :

« ان دافع الضرائب الاميركي يملك في كوريا جيشاً هو حارس امين على الاموال الموظفة في تلك البلاد... وان البعثة العسكرية الاميركية في كوريا مثل حي يريكم كيف يقوى «توظيف» خمسمائة رجل وضابط اميركي ، من أولي العزم ، على تدريب مائة الف رجل ينهضون بعبء اطلاق الذر من أجلكم . » *

وصرح كيم ايل سوك ، وزير الداخلية السابق في حكومة سينغمان ري ، بقوله :

« يعرف الناس جميعاً ان سينغمان ري قصد في ربيع هذا العام الى اليابان ، بدعوة من ماك آرثر ، حيث تلقى من القائد الاميركي امراً بوضع قواته تحت تصرف هذا الاخير عندما يُشَنّ الهجوم على كوريا الشمالية ... وقد قُدِّمت الى سينغمان ري توكيدات بأن سلاح الطيران الاميركي والاسطول الاميركي سيهرعان الى مساعدته ، كما يقوم بهجومه على الشمال ، وان جيشاً من المتطوعين سيفد عليه من اليابان ، وبذلك يستطيع ان يكسب الحرب منذ

* Marguerite Higgins in New York Herald Tribune , June 5, 1950.

اللحظة الاولى من غير ريب . وفي ضحى الخامس والعشرين من حزيران من تلك السنة ، اصدر سينغمان ري امره بالقتال . *
واحدث تدخل اميركة العسكري في كوريا استياء عميقاً في البلدان الآسيوية واستنكرته شعوبها استنكاراً كبيراً . وقد عقلت صحيفة « لو كناو هيرالد » الهندية على هذا الحدث بقولها :

« لقد اعتزمت الولايات المتحدة جدياً ان تحل محل بريطانية في النهوض بعبء الرجل الابيض ... والواقع ان الخطوة التي خطتها الولايات المتحدة [في كوريا] ليست غير ضامنة للسلم العالمي فحسب ، بل هي تهديد راهن له ، وكلما ادرك العالم ذلك كان خيراً وأبقى ... اما كل هذا الحديث عن الحرية وعن استقلال البلدان الصغرى فلا يعدو ان يكون دعاية خالصة ... » †

وهكذا فأن بدء العدوان الاميركي الصريح في آسية قد انتهى الى هزيمة سياسية من الطراز الأول لاول ستريت . أما نتيجة العسكرية فقد قوّضت أركان الاسطورة القائلة بتفوق الرجل الابيض على الرجل الملون .

ولكن كيف استطاع الجنود الكوريون أن يردوا الصاع صاعين للجيوش الاميركية المتفوقة عليهم بالسلاح ، والمؤيدة بقوات البحر والجو ؟

إن السبب الاسمي غيب في الوضوح . لقد كانت الجنود الكوريون يقاتلون ذوداً عن استقلالهم الوطني وعن الارض التي

* Quoted by Jacob A. Malik at U. N. Security Council, Aug. 12, 1950.

† Quoted in New York Herald Tribune, July 21, 1951,

حرثوها هم وأسلافهم طوال مئات من السنين . أما الجنود
الاميركيون فلم تكن لهم مصلحة في حرب 'تشن' في اراضٍ اجنبية
لغير ما سبب يستطيعون أن يفهموه . صحيح أن ماك آرثر كسب
انتصارات عسكرية موقّعة بأن ألقى بكامل قواته البرية والبحرية
في الميدان الكوري . ولكنه عجز عن إخضاع البلاد وشعبها
إخضاعاً حقيقياً ، ليقنع باحتلال المدن الرئيسية وخطوط المواصلات ،
سائر المستعمرين الفرنسيين في الهند الصينية اليوم ، بشأن المستعمرين
البريطانيين الذين قاوموا الثورة الاميركية الاستقلالية منذ مائة
وخمس وسبعين سنة .

واضطر الرئيس ترومان والجنرال ماك آرثر الى ان يتمسك ،
مع احلافها الاوروبيين ، القوّث والعون . وتعاضلت الحسائر
الاميركية في كوريا تعاضلاً يذكّر بأيام الحرب العالمية الثانية .
وزيدت الموازنة العسكرية زيادةً بالغةً تضاعفت معها أرقامها .
وهذا كله في حربٍ 'تشن' ضد ثلاثة في المائة من سكان الشرق
الأقصى ...

فأي ثمنٍ ستدفعه الولايات المتحدة اذا ما سمحت لحكاهها بتوسيع
نطاق الحرب حتى تشمل الصين والهند الصينية والفلبين ، وتغرق
شعوب آسية الجنوبية الشرقية بكاملها ؟

الفهرست



صفحة

٣	مقدمة بقلم الدكتور جورج حنا
١٢	١. نشوء الاستعمار الاميركي
١٤	جذور التوسع الاستعماري
١٩	طرائق التوسع الاستعماري
٢٣	أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري
٢٧	٢. امبراطورية وول ستريت
٣٠	شركات النفط المتحدة تقسم العالم في ما بينها
٣٦	الامبراطوريات الصناعية
٣٧	نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

- ٤٠ امبراطورية المصارف
- ٤١ الامبراطورية الاقليمية
- ٤٦ ٣. وول ستريت ومأساة الزنوج
- ٤٩ استغلال الزنوج استغلالاً فاحشاً
- ٥٥ مظاهر الاضطهاد السياسي
- ٦٠ ٤. النقطة الرابعة والدول غير المتطورة
- ٧٠ ٥. ستراتيجية السيطرة على العالم
- ٨٧ ٦. محاولة استعمار أوروبا
- ٨٩ أسلوب القمع التدريجي
- ٩٠ التعاون مع العناصر الرجعية
- ٩٢ تعاظم السيطرة السياسية
- ٩٤ «توحيد» أوروبا
- ٩٩ ٧. السيطرة الاقتصادية على اوروبة الغربية
- ١٠٠ المبالغة في اغراق الاسواق
- ١٠٣ خفض الأجور

- ١٠٧ سحق الاقتصاد الوطني
- ١١٠ الدولار يستعبد اوروبه
- ١١٦ ٨. الولايات المتحدة توث الامبراطوريات القديمة
- ١١٩ مبدأ ترومان والشرق الاوسط
- ١٢٤ فتح افريقية
- ١٣٠ مستقبل الاستعمار في آسية
- ١٣٦ غزو كوريا

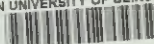
صدر حديثاً عن دار العلم للملايين



- | | | |
|---------------------------------------|------------------------|-----|
| اسرائيل جريمتنا (من السلسلة السياسية) | للدكتور بوروز | ١٠٠ |
| انا عائد من مراکش » » » | لروم لاندو | ١٠٠ |
| ترجمان هتلر يتكلم » » » | للدكتور بول شيمت | ١٠٠ |
| وطنيون واطنان | للدكتور اديب نصور | ٢٠٠ |
| الدستور والديمقراطية | للدكتور صبحي المحمصاني | ٦٠٠ |
| ضجة في صف الفلسفة | للدكتور جورج حنا | ١٠٠ |
| النقد الجمالي واثره في النقد العربي | للآنسة روز غريب | ٢٥٠ |

١٦٠ - ٦ - ١٩٥٢

حنا، جورج
اعمدة الاستعمار الاميركي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01014321

American University of Beirut



General Library